



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي  
جامعة د. مولاي الطاهر - سعيدة -



كلية اللغات والآداب والفنون  
قسم اللغة العربية وآدابها

تخصص : نقد ومناهج

# الأصول الفكرية لنظرية النظم عند " عبد القاهر الجرجاني " دراسة نظرية

مذكرة تخرج لنيل شهادة الليسانس L.M.D في نقد ومناهج

إشراف الأستاذ:

- دحماني شيخ

إعداد الطالبتين :

- جرمانى الزهرة

- خريصي تركية

السنة الجامعية: 1439هـ-1440هـ / 2017-2018 م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# شكر وتقدير

نتقدم بفائق الشكر والتقدير إلى كل أساتذة شعبة اللغة العربية وأدائها  
على جهوداتهم الجبارة، ونخص بالذكر الأستاذ المشرف " دحماني شيخ"  
جزاه الله كل خير، وإلى لجنة المناقشة، وإلى كل أساتذتنا  
من الطور الابتدائي إلى الجامعي، وإلى كل  
من ساعدنا من قريب أو بعيد.

# إهداء

أهدي ثمرة هذا العمل المتواضع:

إلى رفيقة دربي وقرّة عيني وأعلى ما عندي "أمي" الغالية

إلى حبيب قلبي وسندي وقدوتي في الحياة "أبي" العزيز

إلى إخواني "رضوان" - "عبد الحق"

إلى أخواتي "فاطمة" - "مليكة" - "كوثر"

إلى كل صديقاتي، وأخص بذكر "مروى" - "نعيمّة" - "عامرية"

وإلى كل عائلة جرمانى .

الزهرة

# إهداء

أهدي هذا العمل إلى أغلى ما أملك في الدنيا نبع الحنان أمي العزيزة، وأمي

الثانية التي ربتني وتعبت من أجلي جدتي الحبيبة

إلى أبي الغالي وأعز إنسان قلبي خالي " عبد الله "

إلى أخوتي خاصة " هاجر "

إلى كل الأهل أحوالي وأعمامي

إلى الصغار محمد سيف الدين والتوأم رجاء وخير الدين

إلى صديقاتي زينب - حورية-حنان- خيرة- أسماء- خضرة

إلى من تعبت معي وقاسمتني العمل زهرة

إلى كل من مد لي يد العون في انجاز هذا العمل من

تركية

قريب أو بعيد.

# مقدمة



## مقدمة:

تعد اللغة العربية بين أغنى لغات العالم وأشرفها، وقد كانت السبابة لكثير من الدراسات في ما يخص قواعدها ومبانيها وقوانينها، وتعتبر نظرية النظم " لعبد القاهر الجرجاني " من أهم الدراسات اللغوية في التراث العربي، والتي استطاعت إرساء علم النحو وقواعده، وهذه النظرية التي لها قيمة علمية كبيرة ومكانة لغوية لا يضاهيها شيء، ومن خلال كتابه المشهور " دلائل الإعجاز " الذي جسد فيه نظريته و التي لقيت إعجابا من طرف الدارسين لعلم النحو ومحبي اللغة العربية، وقد استطاع عبد القاهر الجرجاني أن يستفيد ممن سبقوه في فكرة النظم كالجاحظ والآمدي وغيرهم، فطورها وتميز بها ونسبت له.

فبعد القاهر الجرجاني وضع بصمته في الأدب من خلال نظرية النظم، التي لا يمكن تجاوزها ولا نسيانها رغم مرور السنين.

واختيارنا لهذا الموضوع كان رغبة في التعرف على الأصول الفكرية لنظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني باعتبارها نظرية ذات قيمة علمية كبيرة، وكذلك الرغبة الملحة في الخوض في غمار البحث. وفي هذا التوجه لتذليل بعض الصعوبات التي واجهتنا أثناء المسار الدراسي فيما يخص مادة البحث هذه ولو أننا لم نتطرق إلا لتعليل البعض منها، فالآراء كانت متضاربة وجد واسعة ولا يسع الوقت والمقام لتناولها كاملة، فاختيارنا المدرسة الأشعرية بحكم أنها المدرسة التي انتمى إليها عبد القاهر الجرجاني.

- أما فيما يخص التطبيق فتمحورت حول نظرية النظم عند الجرجاني ولعل أهم الدوافع التي دفعتنا إلى اختيار هذا الموضوع نذكر :
  - محاولة معرفة الأصول الفكرية ومرجعيات نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني.
  - الرغبة في فهم نظرية النظم، ومعرفة تفكير الجرجاني.
  - نظر لما تملكه هذه النظرية من مصطلحات ومفاهيم عديدة .
  - وانطلاقاً من هذه الرؤية نحدد الإشكالية المراد دارستها في البحث على النحو الآتي:
  - ما هي الأصول والمرجعيات الفكرية التي استسقى منها عبد القاهر الجرجاني نظريته؟.
  - إن الإجابة على هذه الإشكالية يتطلب منا الإجابة أولاً عن التساؤلات التالية:
  - ما هي المدرسة التي انتمى إليها عبد القاهر الجرجاني؟.
  - وما هي أهم مبادئها؟.
  - كيف ساهمت قضية إعجاز القرآن والكلام النفسي في تبلور نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني؟.
  - من هو عبد القاهر الجرجاني؟، وما هي أهم مؤلفاته؟.
  - ما هي الأسس الفكرية لنظرية النظم وأثرها في إعجاز القرآن؟.
- وتعد هذه الدراسة محاولة منا ترمي إلى الوقوف عند إشكالية الأصول الفكرية لنظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني، وقد ارتأينا أن يتضمن بحثنا هذا مقدمة ومدخل ، ثم فصلين وخاتمة، فيما يخص المدخل فعنوانه " مرجعيات نظرية النظم"، الذي عرضنا فيه بعض النقاط حول النشأة والدوافع الحقيقية لنظرية النظم عند الجرجاني، ثم وزعنا هذه الدراسة على فصلين الأول نظري موسوم بمفهوم المدرسة الأشعرية: قسمناه إلى عناوين: نشأة المدرسة الأشعرية ثم أهم الآراء العقائدية والفكرية التي قامت عليها هذه المدرسة، إلى جانب قضايا الكلام النفسي وإعجاز القرآن التي تعتبران بداية تبلور



فكر الجرجاني والتي منهما استقى نظرية النظم، أما الفصل الثاني فهو تطبيقي موسوم بنظرية النظم

عند عبد القاهر الجرجاني وتطرقنا فيه إلى عدة جوانب منها:

- عبد القاهر الجرجاني سيرته ومؤلفاته.
  - الأسس الفكرية لنظرية النظم.
  - نظرية النظم عند الجرجاني وأثرها في الإعجاز.
  - وفي الخاتمة حاولنا استنتاج بعض النقاط وعرض النتائج المتوصل إليها.
  - أما فيما يخص المنهج المتبع في هذه الدراسة اعتمدنا رؤية منهجية تحليلية، وحاولنا قدر الإمكان الإحاطة بالأصول الفكرية لنظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني.
- وقد اعتمدنا مجموعة من المصادر والمراجع، أبرزها " أثر النحاة في الدرس البلاغي".

مختل

## مرجعيات نظرية النظم:

الحمد لله الذي شرفنا بدراسة لغة القرآن الكريم، ووفقنا لهذا وهدانا إليه وأنعم علينا بتدبر كلامه العظيم والصلاة والسلام على سيد الأنام محمد صلى الله عليه وسلم، القائل أعوذ بالله من علم لا ينفع، اللهم نسألك علما نافعا ويقينا صادقا، ولا تجعلنا نتساءل بعلم لا ينفع، أو علم لا يرضيك وعلى آله وصحبه المتحابين إلى يوم الدين وسلم تسليما كثيرا وبعد:

أنعم الله على البشر عامة وعلى العرب خاصة، بأن أنزل القرآن الكريم " بلسان عربي مبين"، وكان لنزوله آثار في حياة العرب من جميع النواحي، ومنها ولادة العلوم العربية باختلافها، والتي نذكر منها رائد العلوم " علم النحو" الذي كان له صدى من بين العلوم الأخرى، والذي كان صيته بين الدارسين للعربية وكان الإلحاح عليه كبيراً لأجل صون القرآن الكريم والحفاظ عليه من اللحن والتحريف، فتوسعت الأهداف والغايات وأصبحت اللغة نفسها غاية الدراسة، فاصطفى الدارسون يستقرونها ويبدون ملاحظاتهم، فخطت الدراسات اللغوية خطوات واسعة في اتجاهات مختلفة لكنها تصبو في اتجاه واحد وهو تحليل اللغة وفهمها .

وتعد نظرية " النظم" لعبد القاهر الجرجاني من أهم الدراسات التي تناولت دراسة النحو العربي وأصوله، فلم يتمكن أحد من العلماء أن يضع قواعد ثابتة لنظرية النظم ويقيم صرح النحو كما ألح عليه الجرجاني واستمر يردده في مواضيع مختلفة من خلال كتبه " دلائل الإعجاز" و " أسرار البلاغة"، وقد كان لهذه النظرية عامل أساسي ودور كبير في الحفاظ على اللغة العربية، وقواعد النحو العربي فهذه النظرية المنبثقة من كتاب الله لم تقم من عدم ولا من فراغ وإنما كان لها جذور و أصول انبثقت

منها، " فالنظم لم يكن مجهولاً قبل عبد القاهر الجرجاني، وهو يعترف صراحة بأن العلماء قد سبقوه إلى التنويه بالنظم وعلو شأنه حيث يقول " وقد علمت إطباق العلماء على تعظيم شأن النظم، وتفخيم قدره، والتنويه بذكره وإجماعهم. أن لا فضل مع عدمه"، كما نراه ينقل عند المبرد فروق الخبر واختلاف النظم باختلافهم حين سأله الكندي عن الفرق بين عبد الله قائم، وإن عبد الله قائم، وإن عبد الله لقائم، فيخبره أن لكل معنى مخالفاً للآخر، واختلاف المعنى مترتب على اختلاف النظم، وإذا أصبح من الثابت أن عبد القاهر لم يبتكر نظرية النظم بمعنى أنه خلقها من العدم، فإنها تنسب إليه بفضل تطبيقها على كثير من أبواب البلاغة التي تدخل في علم المعاني، أو البيان أو البديع، ولم يكن يكتفي بتلك الإشارات العابرة الدالة على القصد، كما فعل السابقون، ولكنه خلق من هذه الإشارات نظرية بلاغية. كبرى احتوت البلاغة كلها حتى أصبحت تصب في النظم ولا تخرج عنه، ولا ينبغي أن تدرس منفصلة دونه، ولا يغض قيمة عبد القاهر في نظرية النظم، أن هذه النظرية قد طرقها المتقدمون، فالابتكار ليس في حقيقته استخلاص الموجود من المعدوم، بل يكون من التأليف بين أشياء استقرت لنستخرج منها شيئاً لم يستقر ولم يولد بعد، وهذا ينطبق على عبد القاهر، فلم يكن النظم قبله يرقى إلى مستوى النظرية، ولم يكن محيطاً بألوان البلاغة كافة، ولم يشمل جميع التغييرات وإنما كان نتفا مفرقة هنا وهناك لا يجمعها رابط، ولا ينظمها سلك، ولم تكن عماداً يرتكز عليه في الأسلوب والتعبير"<sup>(1)</sup>.

(1): عبد القادر حسين: أثر النحاة في الدرس البلاغي، دار الغريب، القاهرة- مصر، 1998م، ص 279.

فهناك من يرى أن الجرجاني قد " تأثر بالمحافظ أو الأمدي، لأنه أشار إليهم في غير موضع من كتابه أو لأنه كان ناسجا على منوال القاضي الجرجاني، أنه تأثر بالخطابي لأنه سبقه في الحديث عن النظم، أو أنه تأثر بالواسطي لأنه شرح إعجاز القرآن الذي لم يصل إلينا- في شرحين مختلفين حجما- فإذا كان عبد القاهر قد انتفع بجهود السابقين في نظريته، أو أنهم كانوا أشعة أضاءت له الطريق، فهذا أمر لا يتطرق إليه الشك، فما من نظرية تقوم على فراغ، أو تبنى على هواء، أو تخلق من العدم والانتفاع بآراء السابقين لا يصح أن يكون موضع طعن لأصحاب النظريات المتجددة، أما إذا كان المراد بأن عبد القاهر قد تأثر بهم تأثرا واضحا، فهذا لا يكن قبوله لمجرد أننا ألفينا أشياء متماثلة بين عبد القاهر وبينهم، فهي أشياء لا تعدو أن تكون شبعا ضئيلا لم تتحدد معالمه، أو تتضح قساماته، وإنما تحددت معالم النظم واتضحت قساماته على يد عبد القاهر دون غيره، لأن النظم قبل عبد القاهر لم يكن مقصودا من عمد، أو مدروسا بطريقة مباشرة، وإنما هو شيء عفوي نابع في داخل هذا النطاق فحسب، أما عند عبد القاهر فهو عمل مدروس ومحور يدور حول كتاب الدلائل كله، وهو القصد من تلك الدراسة الواسعة التي نهضت على أكتاف النحو وعلى تماسك لبنائه، حتى أنه يرجع كل جمل في النظم إلى مراعاة أحكام النحو"<sup>(1)</sup>، وعليه ما من شك فيه أن نظرية النظم ما كانت تبلغ هذا الشأن العظيم ما لم تكن الثقافات الممتزجة سندها الأول ويبدو أن عبد القاهر قد استقى نظريته من منابع عديدة تتصل باللغة والنحو.

(1): المرجع السابق: عبد القادر حسين، أثر النحاة في الدرس البلاغي، ص 280.

وقد حاول بعض الباحثين رد فكرة النظم إلى ما كتبه "أرسطو"، فعبد القاهر الجرجاني "أول من فلسف نظرية النظم التي كان لها جذور وبدايات في دراسة الأباء العرب كالجاحظ وابن قتيبة وخاصة بيئة المعتزلة على يد القاضي أبي الحسن عبد الجبار وغيره"<sup>(2)</sup>، كما أن عبد القاهر الجرجاني قد تفرد بمنهج في "الدرس النحوي"، اشتهر عند المعاصرين أكثر من القدامى، فقد عنوا به عناية خاصة ودعوا إلى تطبيقه في الدرس النحوي الحديث وأشادوا بجهوده "خاصة في دلائل الإعجاز ونظريته في النظم المشهورة"<sup>(3)</sup>، بالإضافة إلى أن منهج عبد القاهر الجرجاني الجديد تمثل بالعناية البالغة "بالتركيب اللغوي والمعنى النحوي والنظم وتعلق الكلم بعضها ببعض، حيث اتسعت عنده دائرة البحث النحوي مع اهتمام كبير بتيسير النحو العربي، واهتمام بالفروق الدقيقة وغير ذلك"<sup>(1)</sup>، فاللغة لا يمكن دراستها إلا بمناهج اللغويين والنحويين، ويعتبر عبد القاهر الجرجاني ممن خدموا اللغة عامة وخصوصا اللغة العربية، فمهما تنوعت العلوم والمناهج إلا أن "علم النحو" يبقى الرائد الأول، فالنحو هو منطلق العربية وجذرها، فالنحاة اختلفوا فمنهم من تأثر بالمنطق الأجنبي ومنهم من تأثر بمنطق الفقه الإسلامي وطبقوه على علوم العربية وهو نابع من منطق العقيدة الإسلامية.

### دوافع نشأة نظرية النظم: هناك دوافع كثيرة أدت إلى نشأة نظرية النظم

من أبرز ما مهد للفكرة قبل عبد القاهر وكان له تأثير عليه: "ذلك الصراع الذي أثاره امتزاج الثقافات وتعصب حملة اليونانية لفلسفة اليونان ومنطقهم، دفاع حملة العربية عن تراثهم وثقافتهم

(2): حبيب الله علي إبراهيم علي: نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني وتأثيرها في دراسته للصورة البيانية، مجلة دراسات وأبحاث، جامعة الجلفة، العدد 18، 2015م، 1436هـ، ص 321.

(3): حسن مندیل حسن العكيلي: دراسات نحوية، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 2012، ص 87.

(1): المرجع السابق: حسن مندیل حسن العكيلي، دراسات نحوية، ص 88.

ومنها الثقافة النحوية، ومن مظاهر هذا الصراع، تلك المناظرة الحادة التي جرت بين متى بن يونس في مجلس الوزير أبي الفتح الفضل بن جعفر الفراهي، فقد أراد الأول أن ينتصر للنحو، أما الثاني فأراد أن ينتصر للمنطق فما ذهب إليه متى بن يونس أن المنطق ميدانه للمعنى، أما النحو فميدانه اللفظ، فأراد السيراطي ينقض هذه المقولة فراح يقدم الألة على أن النحو أيضا يعنى بالمعنى وقال أيضا أن النحو منطوق ولكنه مسلوخ من العربية، وأن المنطق نحو ولكنه مفهوم باللغة، فكان دفاع السيراطي عن النحو العربي دفاعا قويا أثار إعجاب الحاضرين ومما جاء على لسان السيراطي عن معاني النحو: "معاني النحو منقسمة بين حركات اللفظ وسكناته، بين وضع الحروف في موضعها المقتضية لها بين تأليف الكلام بالتقديم والتأخير، وتوخي الصواب في ذلك وتجنب خطأ ذلك"، وتلك حقيقة الأفكار التي تبناها الجرجاني وصاغ منها كتابه الدلائل<sup>(1)</sup>.

كذلك ما مهد للفكرة الفتنة التي كانت تطل برأسها في البيئة الإسلامية منذ ظهر الإلحاد في القرن الأول للهجرة، ثم أصبح ظاهرة خطيرة على المجتمع الإسلامي في العصر العباسي ألا وهي: التشكيك في القرآن وفي إعجازه، فعلى الرغم من الجهود التي بذلت في إرساء القواعد التي يقف عليها، الإعجاز فقد رأى عبد القاهر أن القضية لم تحسم بعد والواجب الديني يفرض عليه أن يجند نفسه وقلمه للدفاع عن هذه القضية التي تتصل بالدين، فألف كتابه "دلائل الإعجاز" وضح من خلاله أن الإعجاز لا يكن في اللفظ وحده ولا في المعنى وحده وإنما يكمن الإعجاز في النظم<sup>(2)</sup>.

(1):رسالة ماجستير " النظرية النحوية عند الجرجاني وتطبيقها في المقررات اللغوية التعليمية لأقسام السنة الثانية ثانوي-آداب- من إعداد أم الخير بن الصديق، جامعة ورقلة، 2007، ص 21.

(2): المرجع نفسه: ص 21.



الخلاف الذي نشأ بين النحويين والذي كانت بدايته بسبب فتح الباب لتجويد القراءات التي لم تشملها القواعد البصرية الأولى، وهذا الخلاف أدى إلى التركيز على المسائل النحوية وأصبح للنحو علماء المتخصصون ومدارسه المتخصصة، ونتج عن ذلك تفرع في مسائل كثيرة في ميدان النحو والصرف وسارت البلاغة العربية التي انفصلت عن النحو أيضا في الاتجاه نفسه فتحولت إلى تقسيمات وتعريفات وحدود بعيدة عن النصوص اللغوية مما أدى إلى الزهد في النحو والإبعاد عنه<sup>(3)</sup>، وتعتبر هذه أهم الدوافع التي أدت إلى بروز نظرية النظم، فنجد أن هناك من ربط نظرية النظم بالفكر اليوناني الفلسفي ومنطقهم، والبعض الآخر رأى العكس، وقال أن الهنود هم من عنوا بها، ونجد أن الخلافات والصراعات الناجمة عن البيئة الإسلامية كان لها الأثر الواضح، وخاصة ما تعلق بقضية " التشكيك في القرآن الكريم وإعجازه"، فقد كان لعبد القاهر الجرجاني رأيه الحاسم في هذا، فوجد نفسه وقلمه من أجل الدفاع عن دينه ورأى أنها واجب عليه فألف كتابه دلائل الإعجاز فكان ثروة الأدب وذروة النظم، حيث أحط في هذا الكتاب بكل ما من شأنه أن يفتح الآفاق ويضع النقاط على السطور ألا وهو أن الإعجاز لا يكمن في اللفظ وحده ولا المعاني، وإنما يكمن الإعجاز في النظم فالخلافات كانت كثيرة حول مسائل النحو، وقد استطاع عبد القاهر الجرجاني من خلال كتابه " دلائل الإعجاز" أن يرسم خطا واضحة للنحو العربي، وبهذا الكتاب أضاف للغة العربية ثروة باهضة، وخاصة نظرية النظم التي عرفت بوادها قبله من العلماء إلا أنه أضاف لها وجعلها ترقى إلى مستوى النظرية.

(3): المرجع نفسه: ص 21.

# الفصل الأول

## المدرسة الفكرية الأشعرية

المبحث الأول: نشأة المدرسة الأشعرية

المبحث الثاني: الآراء العقائدية والفكرية

للمدرسة الأشعرية

المبحث الثالث: قضية الإعجاز القرآني وأثرها في

تدوين البلاغة العربية

المبحث الأول: نشأة المدرسة الأشعرية

لقد نشأت المدرسة الأشعرية في "منتصف القرن العاشر الميلادي (الرابع للهجرة) تلامذة الأشعري وإليه ينتسب اسم هذه المدرسة فيقال الأشعرية والأشاعرة، وقد ظلت الأشعرية طيلة عدة قرون العقيدة المهيمنة في الإسلام السني كما أصبح الأشاعرة أنفسهم أهل السنة"<sup>(1)</sup>، ويعتبر أبو الحسن الأشعري مؤسس المدرسة الأشعرية ولقد "أحاط بالأشعري في أواخر أيامه عدد من التلاميذ الذين أخذوا بحياته المثالية وأفكاره الناضج بالقيم الدينية وجهده لإنقاذ العقيدة من الأخطار المحدقة به. فقد وجدوا فيه ملجأ يقيهم تطرف المتمسكين بحرفه النص من أهل الحديث وتطرف العقليين من أهل الاعتزال، وهكذا بدأت الأشعرية تتبلور"<sup>(2)</sup>.

لكن "الأشعرية ما كادت توطد دعائم وجودها وتتخذ طابعا متميزا بجانب المدارس الأخرى حتى غدت هدفا لهجمات عديدة. فالمعتزلة لم ينسوا ما كانوا يضمرونه للأشعري وهو تلميذهم الذي انقلب عليهم. فأخذوا على الأشاعرة تملقهم للعامة واهتموا بالانتهازية و أنهم يسعون لتوحيد المذاهب المختلفة في مذهبهم الجديد"<sup>(3)</sup>، وكذلك "لم يرق لأهل الحديث هذا المذهب الجديد فقاموا على رأسهم الحنابلة، يعجبون من حال الأشعري الذي ادعى أنه يحاول أن يتملص من شرك الاعتزال فإذا به لا يجد الشجاعة للعودة بكل بساطة ووضوح إلى مورد النبع، أي إلى النص المنزل و الطريقة الحنفية، كما اتبعت في الإسلام السني وثمة حدث آخر ساهم في تعقيد الأمور، ففي نفس الوقت

(1): هنري كوريان: تاريخ الفلسفة الإسلامية، ترجمة نصير مروى، حسن قيديسي، عويدات للنشر والطباعة، بيروت- لبنان، ط2، 1998، ص 128.

(2): المرجع نفسه: ص 188.

(3): المرجع السابق: ص 188.

الذي بدأ فيه الأشعري يلتمس المشاكل التي تهدد الدين الإسلامي. ويحاول أن يجد لها الحلول المناسبة، ظهر مفكر آخر، نشأ أيضا بين أهل السنة، هو أبو منصور الماتريدي، وكان هذا الأخير بدوره يشعر بالمشاكل المحدقة ويهدف إلى تسويتها ونظر تلامذته إلى مساعي الأشاعرة على أنها إصلاح جزئي مبتور وأخذوا عليهم موقفهم المحافظ ومحاولتهم للتوفيق بين مذاهب متناقضة، وإذا كانت الأشعرية موقف وسطا فقد حاول تلامذة الماتريدي أن يحلوا القضية جذريا ويصلحوا التصدع الذي أصاب المذهب السني برمته<sup>(1)</sup>، وهكذا من أهم المشاكل التي واجهها الأشاعرة هو ظهور الماتريدية.

وبالرغم من كل ما واجه الأشاعرة من حملات فقد توسعت مدرستهم وانتشرت " وقد ساعدها الوقت حتى أصبحت لسان حاول السنة في القسم الأكبر من العالم الإسلامي آنذاك، إلا أن الأشعرية جابهة في منتصف القرن الحادي عشر (السادس للهجرة). بعض المصاعب فتوقف نشاطها نوعا. فقد غدا الأمراء الفرس من دولة بني بويه أسياذ السلطة في الدولة العباسية، وإذا كان هؤلاء من الشيعة فقد أقاموا نوعا من التدقيق بين الفكر المعتزلي وبعض النواحي من الفكر الشيعي، ولقد كاد الأمراء السلجوقيون الأتراك، وهم ذو ميول لنسة يستولون على السلطة حتى تبدل الموقف واستعادت الأشعرية مكانتها في المجتمع الإسلامي بل أنها تمتعت بعطف السلطة الحاكمة لا سيما في أيام الوزير

(1): المرجع السابق: هنري كوريان، تاريخ الفلسفة الإسلامية، ص 189.

السلجوقي المعروف " نظام الملك (توفي عام 1093م - 485هـ)"، وهذا ما يفسر لنا سبب المقاومة العنيفة التي قام بها إسماعيل و الموت<sup>(2)</sup>.

رغم المصاعب والمشاكل التي واجهت الأشاعرة إلا أنهم استطاعوا أن يوسعوا مدرستهم ويساهمون في انتشارها واستعادت مكانتها، وأصبحت السلطة الحاكمة بمذهبها السني، كما استطاعت أن تحارب الخصوم التي لا تتفق معها في المذهب والأصعدة الفكرية والسياسية وغيرها.

أسس نظام الملك جامعتين كبيرتين في بغداد ونيسا بورحيت كانت تدرس فيها الأشعرية التي غدت بالتالي المذهب الرسمي للدولة العباسية، وفي ذلك الوقت أصبح دعايتها أنفسهم الناطقون بلسان المذهب السني ولما قوى نفوذهم شرع الأشاعرة يهاجمون الفرق والمذاهب التي لا تتفق ومذهبهم، وذلك ليس فقط على الصعيد البحث الفكري بل على الصعيد السياسي أيضا وذلك بقولهم أن خصومهم إنما يحملون أفكاراً تغذيها دولة أو حكم معارض للخليفة العباسي، وما الحملة التي شنها الغزالي على الباطنية الإسماعيلية وعلى الفلاسفة إلا جزء من كل يستهدف في الوقت نفسه الحكم الفاطمي في مصدر الذي كان يزود عن الفلاسفة ويتبنى المذهب الباطني<sup>(1)</sup>.

وفي حدود القرن الثالث عشر للميلاد ( السابع للهجرة) لاقت الأشعرية " خصمين شديدين هما " ابن تيممة" وتلميذه " ابن القيم الجوزية"، وكلاهما من دمشق فإبن تيممة، وهو مؤسس الحركة " السلفية" التي امتدت عبر عدة قرون، أخذ على الأشاعرة عقم الإصلاح الذي نادوا به، ونادى

(2): المرجع نفسه: ص 189.

(1): المرجع السابق: هنري كوريان، تاريخ الفلسفة الإسلامية، ص 190.

بإصلاح جذري للسنة يقوم على إعطاء القيمة المطلقة للنص الحرفي كما ورد أثناء التنزيل وعلى الرجوع إلى أحاديث الصحابة ويتسنى من هذه الأحاديث مجمل الأحاديث الفقهية التي تروى عن أئمة الشيعة، وبالرغم من بلاغة " ابن تيمية " وانتقاداته اللاذعة حافظت الأشعرية على مكانتها المتفوقة في الإسلام حتى أيامنا هذه إن الروح التجديدية في الإسلام السني مهما كانت عناصرها مختلفة كما المعتزلة والأشاعرة مثلا لم تستطع بالتقائها جميعا في الوجدان الإسلامي إلا أن تعزز المذهب الأشعري وتؤكد تفوقه<sup>(1)</sup>.

من أكبر خصوم الأشعرية هما ابن تيمية وابن القيم الجوزية ورغم ما حملاه هذا الإثنان لهذه المدرسة إلا أنها لم تحرك فيها ساكنا بل زادت من اصرارها وتفوقها في العالم الإسلامي والعيون الناقدة ما كانت إلا مساهمة في تعزيزها ونجاحها.

#### ✓ ومن أهم رواد المدرسة الأشعرية:

وقد " أنجبت المدرسة الأشعرية رجالا بارزين نذكر منهم: " القاضي "، " أبو بكر البقلاني ( المتوفى عام 1053م/403هـ) صاحب كتاب التوحيد وهو أول محاولة لصبغ الأشعرية بصبغة مذهبية: " أبو اسحاق الإسفرائيني ( المتوفى عام 1027 - 418هـ) " و " عبد القادر بن طاهر البغدادي ( توفي عام 1037 - 429) " و أبو جعفر أحمد بن محمد السمعاني ( توفي 1052م - 444هـ) صاحب كتاب الإرشاد الذي يعد الصبغة النهائية للمذهب الأشعري و " الإمام أبو حامد الغزالي " ( المتوفى عام 1111م - 505هـ) و " ابن تومرت " ( توفي عام 1030 - 524هـ) وفخر الدين الرزاي (

(1): المرجع السابق: هنري كوريان، تاريخ الفلسفة الإسلامية، ص 190.

توفي عام 1210-606هـ) و" عضد الدين يحيى (توفي 1355-756هـ) و" الجرجاني (توفي 1413م-816هـ) و" السنوسي (توفي 1490-890هـ)"<sup>(2)</sup>.

فالأشعرية كمدرسة لم ينتصر فقط على كل الهجمات التي تعرضت لها بل أنها نجحت في توطيد دعائمها في الإسلام السني وخاصة في الشرق الأدنى وهي لم تصب هذا النجاح عرضا واتفاقا، و إذا كانت العوامل الخارجية (من سياسية وغيرها) وقد ساعدت على ازدهارها في وقت من الأوقات فإن الفضل في ذلك الازدهار يعود مبدئيا إلى أن المذهب الأشعري قد نادى بحلول حاسمة ولو ظاهريا لمشكلتين من كبار المشاكل، هما فالأولى تتعلق بالنظام الكوني والثانية تتعلق بعلم النفس الديني وعلاقته بالفرد الإنساني"<sup>(1)</sup>.

فالمدرسة الأشعرية من أهم المدارس الفكر الإسلامية واستطاعت أن تنتصر بعلمائها وأفكارها الناضجة، ومن بين الذين قدموا الكثير لهذه المدرسة "أبو الحسن الأشعري" والذين لمعوا في سمائها، وكان له دور كبير في تطورها ونجاحها بنى على نصرته الإسلام وخاصة "السنة"، وهناك عدة عوامل ساعدت في رقيها وازدهارها ومنها الأفكار والقيم الدينية التي نادى بها.

### المبحث الثاني: الآراء العقائدية والفكرية للمدرسة الأشعرية

لقد كان الأشعري مؤسساً لمذهب "الأشعرية" وقد تميز بأراءه وأفكاره، وقد تكلم في كل ما من شأنه أن يؤلف مذهبا من خلال ما قدمه، وقد كان مخالفاً لمذهب المعتزلة، ونجد أن من أهم ما جاء به الأشاعرة هو كلامهم عن أصل العقائد جمعياً، وهو وجود الله المتمثل في قول الأشعري.

(2): المرجع نفسه: ص 191.

(1): المرجع السابق: هنري كوريان، تاريخ الفلسفة الإسلامية، ص 191.



فيتبدى الأشعري بالكلام عن أصل العقائد جميعاً، وهو وجود الله ويقول الشهرستاني معبراً عن رأي الأشعري " وربما سلك أبو الحسن رحمة الله طريقاً في إثبات حدوث الإنسان وتكونه من نطفة أمشاج وتقلبه في أطوار الحلقة وأكوار الفطرة، ولسنا نشك في أنه ما غير ذاته ولا بدل صفاته ولا الأبوان ولا الطبيعة فيتعين احتياجه إلى صانع قديم قادر عليه<sup>(2)</sup>.

أما الطريق الآخر الذي يسلكه الأشعري في إثبات حدوث العالم وأن الباري أحدثه وأبدعه، فهو ينفي قدم الجواهر وإثبات حدوثها، فيقول الشهرستاني معبراً عن رأي الأشعري " لو قدرنا قدم الجواهر لم يخل من أحد أمرين: إما أن تكون مجتمعة أو متفرقة أو لا مجتمعة ولا متفرقة معاً أو بعضها مجتمع وبعضها مفترق وهي بذاوتها لا تجتمع ولا تفترق لأن حكم الذات لا يتبدل، وهي قد تبدلت فإذا لا بد من جامع فارق فيترتب على هذه الأصول أن ما يسبق الحوادث فهو حادث"<sup>(1)</sup>.

والأشعري يستدل "يعجز الإنسان عن تحويل نفسه من النطفة إلى المضغة إلى العلقة إلى اللحم والعظم والدم، وكذلك عجزه عن تحويل نفسه من الطفولة إلى الشباب ومن الكبر إلى الشباب على وجود مدبر، لهذه الأحوال خلاف الإنسان"<sup>(2)</sup>، وهنا يبرهن أبو الحسن الأشعري على أن الله قادر على كل شيء على خلاف الإنسان العاجز ويقر بالمثل الذي جاء به - لجوء الأشعري إلى دليل

(2): جلال محمد موسى: نشأة الأشعرية وتطورها، دار الكتاب اللبناني، بيروت - لبنان، 1928، ص 210.

(1): المرجع السابق: جلال محمد موسى، نشأة الأشعرية وتطورها، ص 211.

(2): المرجع نفسه: ص 212.

التمانع المستند إلى الآية الكرمة ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا ءِآهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾<sup>(3)</sup>، في إثبات وحدانية الله.

ويقرون الأشاعرة على وحدانية الله على كل دلائل الكونية تدل على عظمته ووحدانيته وأن الله وحده لا شريك له القادر على تسير هذا العالم، فالأشعري يرى " أن الوحدانية لا تحتاج في نظره إلى تدليل، وأنها مسألة بديهية، لأن الاتساق والحكمة والنظام في العالم دلائل واضحة وكافية وحدها في إثبات أن الله واحد"<sup>(4)</sup>.

وينفي الأشعري أن يكون الباري جسماً لأن الجسم هو الطويل العريض المجتمع والواحد لا يجمع نفسه لأن أقل قليل الاجتماع لا يكون إلا من شيئين، فأثبت الأشعري وحدانية الله، ولذلك ينفي عليه الاجتماع والمجاعة"<sup>(1)</sup>.

**صفات الخلق من فكرة الحدوث والغائية:** إن فكرة النظام الغائية المتمثلة في السكون فإننا نجد الأشعري قد استغلها في إثبات أن الله واحد بمعنى عدم التعدد وفي إثبات أنه عالم أيضاً، فيقول " لا يمكن أن يكون الخالق متعدداً لأن الإثنين مثلاً لا يجري تدبيرهما على نظام ولا يتسق على أحكام ولا بد أن يلحقها العجز أو واحد منهما"، والعاجز لا يكون إلهاً وإذن فيجب أن يكون الإله واحداً بل

(3): سورة الأنبياء: آية 22.

(4): المرجع نفسه: جلال محمد موسى، نشأة الأشعرية وتطورها، ص 216.

(1): المرجع السابق: جلال محمد موسى، نشأة الأشعرية وتطورها، ص 216.

وعالما لأن الأفعال المحكمة لا تصدر إلا من عالم فإن من لا يحسن دقائق الصنعة ويعلمها لا يستطيع فعلها والعالم مشحون بآثار الصنعة الحكيمة والله هو الفاعل لها. وإذن فهو عالم بها<sup>(2)</sup>.

القدرة العامة: فالأشعري يتحدث عن قدرة الله تعالى قائلاً إن كل شيء في العالم حتى أفعال الإنسان الإرادية، إنما هو مخلوق بها ولا دخل لغيرها في إيجادها ولأن المعتزلة قد عارضوا في الفعل الاختياري وقالوا إنه فعل مخلوق بقدرة العبد نرى الأشعري يحاول أن ينفي ذلك مبرهنًا على فساده بقوله: إن جميع الأفعال تحتاج إلى فاعل يفعلها وهو عالم بحقيقتها وإذا جاز يوجد الفعل من غير فاعل يعلم حقيقته جاز أن يوجد من غير فاعل أصلاً<sup>(3)</sup>.

وهذا يعني في مذهب الأشعري أن الحسن والقبح في الأشياء ليس كلياً كما تقول المعتزلة بل شرعياً يعود إلى وصف به الحسن أو القبح مهمة الشرع هي الإثبات لا الإخبار ويجوز أن تغير صفات الأشياء حسناً وقبحاً تبعاً لمشيئة الله تعالى. وإرادة الله في رأيه أيضاً عامة فهو يريد الخير والشر الموجودين في هذا العالم جميعاً<sup>(1)</sup>، أن الخير والشر والحسن والقبح ليس ذاتياً وإنما شرعياً .

صفة العلم: يقول الأشعري " أن علم الله محيط بكل شيء حاضراً كان أو ماضياً أو مستقبلاً ويتعلق بجميع المعلومات الواجب منها والجائز بل والمستحيل أيضاً وهو علم واحد قديم لا تتحدد له صفة ولا يتعاقب عليه حال لأن القديم لا يطرأ عليه التغيير، وكما أن إضافة الوجود الأزلي إلى الكائنات الحاصلة في الأزمان المختلفة لا يؤدي إلى تغيير ذاته بتغيير الأزمنة فكذلك علمه لا يغير

(2): المرجع نفسه: ص 217.

(3): حمودة غرداية، أبو الحسن الأشعري، مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة، 1393هـ - 1973م، ص 91.

(1): المرجع السابق، حمودة غرداية، أبو الحسن الأشعري، ص 96.

بتغير المعلومات في أحوالها المختلفة"<sup>(2)</sup>، أن الله هو الذي تنسب إليه صفة العلم لأنه العالم والمحيط بكل شيء.

ونجد أن الأشعري " تكلم عن صفات الله فيصفه بالعلم لأن الأفعال المحكمة تتصف في الحكمة إلا من عالم، والصنائع لا تحدث إلا من قادر حي فيصفه بالقدرة والحياة والسمع والبصر، وهو عالم يعلم أزلي قادر بقدرة أزلية حي بحياة، سميع بسمع، بصير ببصر وهو السميع البصير لأنه تعالى لما كان حيا لا تجوز عليه أفات الصمم والعمى كان سميعاً بصيراً. وفي العلم يقول الأشعري " إن معنى العالم عندي أنه علماء ومن لم يعلم لزيد علمائهم بعلمه علماً"<sup>(3)</sup>، ويستدل الأشعري على علم الباري بأدلة سمعية في آيات من الكتاب كقوله تعالى ﴿أنزله بعلمه﴾<sup>(4)</sup>، وكذلك قوله تعالى ﴿وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه﴾<sup>(5)</sup>.

الشهرستاني إذا يثبت لله صفات العلم والقدرة والحياة والإرادة، وهي "صفات أزلية قديمة وهو رأي الأشعري السالف الذكر، فالأحكام والإتفاق في الصنع طل على العلم والإيجاد بالقدرة والتخصيص بالإرادة"<sup>(1)</sup>، من أجل هذا فإن الأشاعرة هم "يمثلون أهل السنة، جاؤوا بوجهة نظر تقف وسطا بين الأراء المتطرفة، سواء أولئك الذين قالوا بالجبر، أو الذين قالوا بالإختيار، فقالوا- أي الأشاعرة- إن الفعل نفسه من الله والقدرة الحادثة التي يتم بها الفعل منه تعالى أيضا، والإنسان له الإرادة والتوجيه

(2): المرجع نفسه: ص 105.

(3): جلال محمد موسى: نشأة الأشعرية وتطورها، دار الكتاب اللبناني، بيروت- لبنان، 1982، ص 217.

(4): سورة النساء، الآية 166.

(5): سورة فصلت، الآية 47.

(1): جلال محمد موسى، نشأة الأشعرية وتطورها، دار الكتاب اللبناني، بيروت- لبنان، 1982، ص 217.

فوافقوا المعتزلة بأن الإنسان حر في إرادته من ناحية، وخالفوهم بأن هذه الإرادة إنما تتم بتقدير الله وإرادته<sup>(2)</sup>، أراء الأشاعرة كانت تأتي وسطا بين الأراء المتطرفة وهذا ما نجده في قول أبو الحسن الأشعري " وإرادته واحدة قديمة، أزلية، متعلقة بجميع المرادات من أفعاله الخاصة وأفعال عباده، من حيث أنها مخلوقة له، لا من حيث أنها مكتسبة لهم..."، وقال " والعبد قادر على أفعاله إذ الإنسان يجد من نفسه تفرقة ضرورية بين حركات الرعدة والرعشة وبين حركات الاختيار والإرادة والتفرقة راجعة إلى أن الحركات الاختيارية حاصلة تحت القدرة متفوقة على اختيار القادر"<sup>(3)</sup>.

ونلاحظ هنا أن المعتزلة والمتصوفة والأشاعرة يجعلون " للعقل قدوة على الاختيار، ولكن كل فريق من هؤلاء يختلف عن غيره في نقطة واحدة هي تحديد العمل الاختياري بالنسبة لإرادة الله عز وجل، فالمعتزلة يقولون الخير من الله والشر من الإنسان وهم يريدون بذلك دفع الظلم عن الله، إذا لا يمكن أن يكون خالق للشر ثم يحاسب عليه من وجهة نظرهم، وأما المحاسبي فإنه يعتبر أن الله احتج على عباده بما ركب فيهم من عقولهم، ﴿وما الله بظلام للعبيد﴾، وفي هذا يعتبر أن الله دفع الظلم من ذاته بإيجاد العقل"<sup>(4)</sup>، وأما الأشاعرة وأهل السنة فإنهم يقولون "أن الخير والشر من الله، وإن قضاء الله سبق بذلك وإن الإنسان يكسب عمله الذي قدر له بإرادته وبإختياره، وهذا لا يتعارض مع إرادة

(2): الشيخ محمد علي الجوزو، مفهوم العقل والقلب في القرآن، دار العلم للملايين، ط1، بيروت- لبنان، 1980، ص 160-161.

(3): المرجع نفسه: ص 160.

(4): المرجع نفسه: ص 160.

الله، لأن علم الله الأزلي يحيط بكل شيء لذلك سخر طرق الهداية للمهتدي وطرق الظلال للظلال" (1).

اختلفت الآراء بين الأشاعرة والمعتزلة حول قضية الخير والشر، حيث يرجع الأشاعرة " الفعل نفسه من الله والقدرة الحادثة التي يتم بها منه أيضا وخالفوهم المعتزلة في ذلك والأشاعرة يرون أن الخير والشر من الله ونجد أن المعتزلة يرون أن الخير من الله والشر من الإنسان... هذه أهم آراء التي اختلفوا فيها حول حقيقة الفعل والخير والشر.

فالقدرة عند الأشعري وغيره من أهل السنة والجماعة يقتزن بالفعل ولأسبقية كما عند المعتزلة، وينسب الشهرستاني إلى الأشعري أنه لا تأثير لقدرة العبد في الفعل إلا من وجهة كسبه لأن الأحداث هو الخلق والإبداع قضية واحدة، لا تختلف بالنسبة إلى الجواهر والأعراض.

ويشرح الأشعري معنى الكسب، بقوله " إن الشيء وقع من المكتسب له بقدرة محدثة" (2)، فالكسب عند الأشاعرة صفة مرتبطة بالعبد، " فالكسب عند الأشعري إذا هو " صفة العبد لأنه لا يعلم تفاصيل فعله من كل وجه ولا يحيط إلا ببعض وجوه الفعل، أما الخلق فهو صفة الرب لكونه تعالى عالما بفعله وعلمه محيطا به من كل وجه وهذا ينفي كون العبد خالق فعله الذي يثاب ويعاقب عليه" (3).

(1): المرجع السابق: الشيخ محمد علي الجوزو، مفهوم العقل والقلب في القرآن، ص 161.

(2): جلال محمد موسى: نشأة الأشعرية وتطورها، دار الكتاب اللبناني، بيروت - لبنان، 1982، ص 234.

(3): المرجع نفسه: ص 247.

أما في ما يخص قضية كلام الله " فقد اختلفت الآراء بين المعتزلة التي ترى أن " القرآن مخلوق " وثبت عند أحمد بن حنبل على قوله أن القرآن الكريم كلام الله غير مخلوق، ولكن الأشعري أتى برأي مخالف لسابقه وتابع ابن كلاب في تميزه بين الكلام النفسي الأزلي القديم والكلام المتعلق بالأمر والنهي والخبر وهو حادث وهذه المسألة تعرف في التاريخ بمشكلة خلق القرآن والأشعري ينفي أن يكون متكلماً لنفسه وثبت أنه متكلم بكلام، وكلامه إما أن يكون قديماً أو حديثاً... ويدلل الأشعري على قدم القرآن بأدلة عقلية ونقلية في كتابه " اللمع " و " الإبانة "، وقد أفاض في ذلك كثيراً فيذكر قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾<sup>(1)</sup>، ويقول إنه لو كان القرآن مخلوقاً كما يقول المعتزلة لكان مقولاً له كن، فالأشعري يرى أن أمر الله هو كلامه والأمر غير الخلق أولاً والأمر منفرداً مما يدل على أنه بخلافه.

وقوله تعالى ﴿ أَلَا لَهُ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلِ وَمِنْ بَعْدِ ﴾، أي قيل أن يخلق ومن بعد ذلك مما يدل على أن الأمر غير مخلوق.

ومن المسائل التي أثارت الجدل حولها " مسألة الرؤية " أي رؤية الله في الآخرة جدل كثير بين المعتزلة والأشاعرة، فالأشعري أجاز رؤية الله في الآخرة عقلاً أو أوجبها سمعاً. والمصحح لها هو الوجود، والباري موجود فيصبح أن يرى، فالرؤية عند الأشعري، أحدهما أنه علم مخصوص أي يتعلق

(1): سورة النحل الآية 40.



بالوجود دون العدم، والثاني إنه إدراك وراء العلم ولا يفتضي بتأثير في المدرك ولا تأثيراً عنه<sup>(2)</sup>، ومن

القضايا التي تناولها الأشاعرة وعلى رأسهم أبو الحسن الأشعري هي مسألة الإيمان.

الإيمان: رأى الأشعري في الإيمان هو التصديق، فالأشعري في مسألة الإيمان يتفق مع رأي أهل

السنة والجماعة في أن الإيمان ذو أركان ثلاثة هي التصديق بالقلب والإقرار باللسان والعمل

بالأركان<sup>(3)</sup>.

أما عن رأيه في " الإمامة " فنراه يقتصر على القول بإثبات صحة الخلفاء الأربعة، ويذكر

البغدادي عن الأشعري رأياً في وجوب الإمامة سمعاً وجوازها عقلاً، فيقول " قال أبو الحسن إن الإمامة

شريعة من الشرائع يعلم جواز وراء التبعية بها العقل، ويعلم وجوبها بالسمع، وأما طريق ثبوت الإمامة

عندهم، فواضح أنه الإختيار من الأمة بإجتهد أهل الإجتهد منهم واختيارهم من يصلح لها<sup>(1)</sup>،

فالإمامة عند الأشاعرة هي لمن يستحقها والذي تختاره الأمة والذي يصلح لها، ومن هنا نجد أن هناك

عدة آراء جاءت بها المدرسة الأشعرية سواء عقائدية أو فكرية والتي من بينها:

- أن العقائد جميعاً هو وجود الله.

- إثبات حدوث العالم ( أن الله هو الذي أحدثه وأبدعه).

- أن الإتساق والحكمة في العالم دلائل واضحة على وحدانية الله.

- فالأشعري يرى أن قدرة الله تعالى عامة وأن كل شيء في العالم حتى أفعال الإنسان الإرادية إنما

هو مخلوق بها ولا دخل لغيرها في إيجادها وأن الحسن والقبح في الأشياء شرعياً.

(2): المرجع السابق: جلال محمد موسى، نشأة الأشعرية وتطورها، ص 258.

(3): المرجع نفسه، ص 265.

(1): المرجع السابق: جلال محمد موسى، نشأة الأشعرية وتطورها، ص 273.

- أن الخير والشر الموجودين في هذا العالم جميعاً.
- صفة العلم ( أن الله محيط بكل شيء الماضي والمستقبل والجائز والمستحيل...).
- الأشاعرة يمثلون أهل السنة ويجعلون للعقل قدرة على إختيار وأن الخير والشر من الله.
- والقدرة عند الأشاعرة تقرر بالفعل.
- الكسب هو صفة العبد والخلق صفة الرب.
- قضية الكلام الله وخلق القرآن وهم يدلون على قدم القرآن بأدلة عقلية ونقلية.
- فالأشاعرة يميزون برؤية الله في الآخرة.
- الإيمان والتصديق.
- الإمامة وجوبها سمعاً وجوازها عقلاً.
- فالأشاعرة قد طرحوا عدة قضايا فتنوعت بين النظام الكوني وعلم النفس الديني والإنسان وإثبات وحدانية الله وكان على رأسهم " أبو الحسن الأشعري " فالأشعرية كمدرسة إسلامية سنية قد أخذت تدفع عن القيم الدينية وكل من شأنه أن ينفع العرب وعلومهم، وقد أنجبت هذه المدرسة عدة رجال كان لهم دور في الدفاع عن الدين وبناء اللغة العربية والتي نذكر منهم عبد القاهر الجرجاني الذي كان شاعري المذهب والذي قدم للدين الإسلامي واللغة العربية عدة إنجازات والذي تأثر كثيراً بهذه المدرسة.

### المبحث الثالث: قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة العربية:

تعتبر قضية الكلام النفسي وقضية إعجاز القرآن من أهم القضايا التي ساهمت في تأسيس نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني، " لقد حاول أن يضع قواعد فنية للبلاغة والجمال الفني في كتابه " دلائل الإعجاز " كما حاول أن يضع قواعد نفسية للبلاغة في كتابه " أسرار البلاغة " وقد تأثر

بالفلسفة الإغريقية وبالمنطق، ولكن لا على طريقة " قدامة " فقد كان له من ذوقه الأدبي عاصم قوي، فبقى في دائرة المنهج النفسي<sup>(1)</sup>.

وقد وصل في كتابه الأول إلى تقرير نظرية، " هو أول من قررها في تاريخ النقد العربي، ويصح أن نسميها " نظرية النظم " وخلصتها أن ترتيب المعاني في الذهن هو الذي يقتضي ترتيب الألفاظ في العبارة، وأن اللفظ لا مزية له في ذاته وإنما مزيته في تناسق معناه مع معنى اللفظ الذي يجاوره في النظم، أي تنسيق الكلمات والمعاني بحيث يبدي النظم جمال الألفاظ والمعاني مجتمعة - وأن الجمال الفني رهين بحسن النسق أو حسن النظم<sup>(1)</sup>.

ونجد كذلك رأي جابر عصفور حين قال " إن نظرية النظم تعتمد على المبدأ الأشعري الذي يفصل بين الدلالة والمدلول، ويسلم بأسبقية المعاني القائمة في النفس على الألفاظ الدالة في النطق<sup>(2)</sup>، فجابر عصفور يقر في تعريفه هذا بأن عبد القاهر الجرجاني قد اعتمد في دراسته وتحليله على مبادئ المدرسة الأشعرية حيث فصل بين الدال والمدلول.

كما نجد قول شكري محمد عياد " أما الجرجاني فقد كانت نظرية الكلام النفسي هي عمدته في قضية اللفظ والمعنى<sup>(3)</sup>، اعتمد عبد القاهر الجرجاني في نظرية النظم على طريقة مغايرة في أعماله، والتي كانت عبارة عن استشهادات من الشعر.

الشعر العربي والموازنة بينها وبين النظم القرآني ليصل في نهاية الأمر إلى إعجاز القرآن المتمثل في نظمه والذي جسده في كتابه " دلائل الإعجاز " فالألفاظ عنده مرتبة على المعاني، لأن المعاني بدورها تترتب في النفس أولاً ثم يأتي النطق بها.

لقد كانت طبيعة الجدل الحاد بين المتكلمين، وبينهم وبين أهل السنة أو سواهم من غير المسلمين " تقتضي الإلحاح على العقل والمنطق، ومن ثم استبعدت الجوانب الوجدانية - أو كادت -

(1): سيد قطب: النقد الأدبي أصوله ومناهجه، دار الشروق، القاهرة- مصر، ط8، 2003، ص 143.

(1): المرجع السابق: سيد قطب، النقد الأدبي أصوله ومناهجه، ص 143.

(2): جابر عصفور: الصورة الفنية في التراث - النقدي والبلاغي عند العرب، المركز الثقافي العربي، بيروت- لبنان، ط3، 1992، ص 385.

(3): محمد عياد شكري: المؤثرات الفلسفية والكلامية في النقد الأدبي والبلاغة العربية، مجلة الأقلام، العدد 11 آ - ب، 1980، ص 11.

من النقاش. ولقد تأثر مبحث المجاز بذلك كله، فلم يتوقف واحد من المتكلمين ليتأمل مدى صواب التصور المفترض لطبيعة العلاقة بين طرفي المجاز، أو تسأل عما إذا كانت هذه العلاقة تقوم حقا على أساس منطقي، يعتمد على علاقة محددة مثل المشابهة، أو الجزئية والكلية، أو اللزوم والملزومية، أو غيرها من أشكال العلاقات، التي كانت - على درجات متفاوتة- تدور بأذهان المعتزلة أمثال الجاحظ والرماني، وابن سنان، والقاضي عبد الجبار، والزمخشري، والسكاكي أو الأشاعرة أمثال الباقلاني، وعبد القاهر وهؤلاء هم الذين أوجدوا أسس البحث البلاغي وقواعده<sup>(1)</sup>، وعليه فالجدل القائم بين المتكلمين كان السبب في إيجاد أسس البحث البلاغي وقواعده، مثل نظرية "النظم".

نجد أن هناك ارتباط كبير بين قضية إعجاز القرآن ونظرية النظم، وأن الكثير ممن خاضوا في غمار قضية إعجاز القرآن قد كانوا سببا في ازدهار البلاغة العربية، وأن نشوء نظرية النظم قد مهد لها علماء النحو العربي وتطرقهم لقضية الإعجاز في القرآن ونظمه.

وقد أفرد علماءنا رضي الله عنهم ب" تصنيف إعجاز القرآن وخاضوا في وجوه إعجاز كثيرا، منهم الخطابي، الرماني، والزملكاني، والإمام الرازي، وابن سراقه، والقاضي أبو بكر الباقلاني، وأنهى بعضهم وجوه إعجاز إلى ثمانين"<sup>(2)</sup>، ونشر بأنه لا نهاية لوجوه إعجاز القرآن كما جاء في قول السكاكي في كتابه " المفتاح" حين قال " أعلم أن إعجاز القرآن يدرك ولا يمكن وصفه، كاستقامة الوزن تدرك ولا يمكن وصفها، وكالملاحه، وكما يدرك طيب النغم العارض لهذا الصوت، ولا يدرك تحصله لغير ذوي الفطر السليمة إلا بإتقان على المعاني والبيان والتمرين فيهما"<sup>(3)</sup>.

ونشير أيضا إلى قول الأصفهاني " أعلم أن إعجاز القرآن ذكر من وجهين: أحدهما إعجاز يتعلق بنفسه، والثاني تصرف الناس عن معارضته، فالأول إما أن يتعلق بفصاحته وبلاغته فلا يتعلق بعنصره الذي هو اللفظ والمعنى، فإن ألفاظهم، قال تعالى ﴿ قرآنا عربيا ﴾ ﴿ بلسان عربي ﴾ ولا بمعانيه،

(1): جابر عصفور: الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، المركز الثقافي العربي، بيروت- لبنان، ط3، 1992، ص 141.

(2): جلال الدين عبد الرحمان أبي بكر السيوطي: معترك الأقران في إعجاز القرآن، تحقيق علي محمد البحياوي، المجلد الأول، دار الفكر العربي، ب-

ط، ب- ت، ص 3.

(3): المرجع نفسه: ص 3-4.

فإن كثيراً منها موجود في الكتب المتقدمة، قال تعالى ﴿وَإِنَّ لَفِي زُجْرِ الْأُولِينَ﴾، وما هو في القرآن من المعارف الإلهية وبيان المبدأ والمعاد، والإخبار بالغيب، فإعجازه ليس برافع إلى القرآن من حيث هو قرآن، بل لكونها حاصلة من غير سبق تعليم أو تعلم.

ويكون الإخبار بالغيب إخباراً بالمغيب سواءً كان بهذا النظم أو بغيره، موروداً بالعربية أو بلغة أخرى، بعبارة أو إشارة فإذا فالنظم المخصوص صورة القرآن، واللفظ والمعنى عنصره، وباختلاف الصور يختلف حكم الشيء واسمه بعنصره، كالقرط والخاتم والسوار، فإنه باختلاف صورها اختلفت أسماءها، لا بعنصرها الذي هو الذهب والفضة والحديد، فإن الخاتم المتخذ من الذهب ومن الفضة ومن الحديد يسمى خاتماً، وإن كان العنصر مختلفاً، وإن اتخذ خاتم وقرط وسوار من ذهب اختلفت أسماءهم باختلاف صورها، وإن كان العنصر واحداً قال: فظهر من هذا أن الإعجاز المختص بالقرآن يتعلق بالنظم المخصوص<sup>(1)</sup>، أي أن الإعجاز القرآني عند الأصفهاني فالنظم المخصوص هو صورة القرآن واللفظ والمعنى عنصره، وأن الإعجاز مختص بالقرآن يتعلق بالنظم المخصوص.

فالإعجاز نظمه" وبيان كون النظم معجزاً يتوقف على بيان نظم الكلام ثم بيان أن هذا النظم مخالف لما عداه من النظم، فيقول " مراتب الكلام خمس:

الأولى: ضم الحروف المبسوطة بعضها إلى بعض لتدل الكلمات الثلاث: الاسم والفعل والحرف.

والثانية: تأليف هذه الكلمات بعضها إلى بعض، فتحصل الجمل المفيدة وهو النوع الذي يتداوله الناس جميعاً في مخاطبتهم وقضاء حوائجهم ويقال له المنثور من الكلام.

والثالثة: ضم بعض [ ذلك إلى بعض ] فماله مبادئ ومقاطع، ومداخل ومخارج، ويقال له المنظوم.

والرابعة: أن يعتبر في أواخر الكلام مع ذلك تسجيع، ويقال له السجع.

والخامسة: أن يجعل له من ذلك وزن، ويقال له الرسالة، فأنواع الكلام لا تخرج عن هذه الأقسام: وكل من ذلك نظم مخصوص، والقرآن جامع لمحاسن الجميع غير نظم شيء منها، ودل على ذلك أنه

(1): المرجع السابق: معترك الأقران في إعجاز القرآن، ص 04.

لا يصح أن يقال له رسالة أو خطابة أو شعر أو سجع، كما يصح أن يقال هو كلام والبليغ إذا فرع سمعه فصل بينه وبين ما عداه من النظم" (1).

ونجد أيضا آراء أخرى " فبعض الفرق، فإنهم يقولون: إن وجه الإعجاز في القرآن هو ما اشتمل عليه من النظم الغريب المخالف لنظم العرب وثرهم في مطالعه ومقاطعته وفواصله، أي كأنه بدع من ترتيب الكلام لا أكثر"، وبعضهم يقول " إن وجه الإعجاز في سلامة ألفاظه مما يشين اللفظ كالتعقيد والاستكراه ونحوهما مما عرفه علماء البيان، وهو رأي سخييف يدل أن القائلين به لم يلابسوا صناعة المعاني، وآخرون يقولون: بل ذلك في خلوة من التناقض واشتماله على المعاني الدقيقة" (2).

ويمكننا القول بأن قضية الإعجاز القرآني تعتبر الموجة الأكبر والمرشد الأول لبلاغتنا العربية بأطوارها المختلفة، نشأة ونمو وازدهاراً فالبيان أصبح طريق الإيمان، وتعلمه أصبح ضرورة لفهم أمور الدين والقرآن الكريم، والوقوف على وجه إعجازه، ويعتبر عبد القاهر الجرجاني من العلماء والنحاة الذين بذلوا كل غال ورخيص من أجل جمع كلام العرب وحفظه وتدوينه، ومحاولة لتفسيره، فمعظم البلاغيين الذين أسهموا في تقدم البلاغة العربية وازدهارها قد يكون من الصعب تفسير آرائهم وخططهم البلاغية.

فما كان القرن الثاني الهجري يشرف على نهايته، ويتبدئ القرن الثالث هجري حتى "كثرت الفرق الإسلامية وتنوعت، واشتد الخلاف بينهما، واتصل خلافهم وجدلهم حول القرآن الكريم، وأخذ الإلحاد يسفر النقاد عن أغراضه، ويصوب سهامه نحو الطعن على النظم القرآني والبيان العربي بوجه عام، وانبرى علماء المسلمين يدافعون عنهما وتمخض دفاعهم عن آراء في البيان الغربي وإبراز محاسنه" (1).

(1): المرجع السابق: معترك الأقران في إعجاز القرآن، ص 05.

(2): مصطفى الصادق الرافي: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، 1424هـ- 2004م، ص 103.

(1): عبد العزيز عبد المعطي عرفة: قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة العربية، عالم الكتب، ط1، 1405هـ- 1985م، ص 139.

ثم جاء الحسن البصري "وحكم على مرتكب الكبيرة بأنه منافق وليس بكافر"، ثم أتى واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد، "وعبر عن هذا النفاق بالمنزلة بين المنزلتين. أي بمنزلة بين الكفر والإيمان"، ثم قام "واصل من مجلس الحسن البصري واتخذ له مجلسا في المسجد وانظم إليه عمرو بن عبيد"، عندئذ قال الحسن البصري: قد اعتزلنا واصل، فسمي هو وأصحابه بالمعتزلة<sup>(2)</sup>.

فلما كان القرن الثاني الهجري ودخل الناس في دين الله أفواجا، "ابتلى الإسلام بعناصر أجنبية، متشعبة بأفكار خبيثة، ممن يضمرون الكفر ويلتحقون الإسلام، ألفت بما لديها من أفكار وثقافة، ودين في تيار حياة المسلمين العقلية، وعملت على أن تنصر فريقا على فريق، كذلك انتقل إلى المسلمين نظريات يهودية عديدة كالقول بالتشبيه ونسخ التوراة وخلقها، وكثير من الأمور الكلامية، التي تسربت عن طرق متعددة أهمها الرواة اليهود عند ذلك كثرت الفرق وتنوعت واشتدت الفرقة بينهما وكثر الجدل، واتصل بالقرآن الكريم من ناحية، وهو مخلوق أم غير مخلوق، وكذلك كلام الله وناحية محكمة ومتشابهة، وهل يجوز تفسير الآيات المتشابهة أم لا؟، إلى آخر ما هو موجود في كتب الفرق"<sup>(3)</sup>، ومن هنا نفسر أن هناك فرق دخيلة ظهرت بأفكار مسمومة حاولت تشويه الدين الإسلامي، وكان هدفها التفريق بين المسلمين من خلال بثها لأفكار تحاول المساس بالمقدسات ومنها القرآن الكريم.

ولعل الرواندي هو أول من أثار مذهب الصرفة المشهور الذي يجعل وجه الإعجاز في القرآن ليس في النظم والتأليف، وإنما هو المنع والعجز اللذين أحدثهما الله في العرب الذين شوفهوا بالقرآن

(2): المرجع نفسه: ص 141.

(3): المرجع نفسه: ص 141.

وتخذوا به ولولا هذا المنع والعجز لكانوا قادرين على الإتيان بسورة من مثله بلاغة وفصاحة ونظما، ونسبة إلى أبي إسحاق إبراهيم بن سيار المعروف بالنظام المتوفي سنة 231هـ المعتزلي، المشهور فقد جاء في كتاب " الانتصار " لابن الخياط ما نصبه : " ثم قال " ابن الرواندي " وكان يزعم " أي : النظام " أن نظم القرآن وتأليفه ليسا بحجة للنبي صلى الله عليه وسلم، وأن الخلق يقدرون على مثله "، ثم قال " هذا مع قول الله عز وجل ﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتوا بمثله ﴾ <sup>(1)</sup>، اعتبر النظام من شياطين أهل الكلام، والذي بالغ في مذهب الصرفة حتى عرفت به .

وقد رد عليه ابن الخياط إذ قال " أعلم، علمك الله خير - أن القرآن حجة للنبي صلى الله عليه وسلم على نبوته عند إبراهيم من غير وجه: فأحدهما ما فيه من الأخبار عن الغيوب مثل قوله: ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم الصالحات ليستخلفهم في الأرض ﴾، ومثل قوله ﴿ أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ﴾، ومثل إخباره بما في النفوس قوم وبما سيقولون، وهذا وما أشبهه في القرآن كثير، فالقرآن عند إبراهيم حجة على نبوة النبي صلى الله عليه وسلم من هذه الوجوه وأشبهها وإياها عن الله بقوله ﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ﴾ <sup>(2)</sup>.

(1): المرجع السابق: قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة العربية، ص 143.

(2): عبد العزيز عبد المعطي عرفة: قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة العربية، عالم الكتب، ط1، 1405هـ - 1985م، ص 144.



فواضح من النقل عن ابن الخياط أن " النظام " يرى " أن القرآن حجة النبي صلى الله عليه وسلم وأنه معجز لوجوه كثيرة منها ما فيه من الأخبار عن الغيوب المستقبلية ولم يثبت في صراحة أن النظم والتأليف وجه من وجوه الإعجاز عند النظام ولم ينفه عنه، وقد يقال إن الخياط لم ينص صراحة على النظم والتأليف كوجه من وجوه الإعجاز عند النظام، لأن هذا مفروغ منه وله اعتبار، يقول ابن الرواندي وكان همه أن يثبت للناس وجهاً آخر في إعجاز القرآن للنظام، ويشير إلى وجوه كثيرة أيضاً ربما اعتقد أنها واضحة لا تحتاج إلى بيان، ولكن هذا لا يقنع الباحث فبقيت عبارة ابن الخياط بالنسبة لموقف النظام من نظم القرآن وتأليفه غامضة كما ترى" (1) .

نجد أن النظام يقر بأن القرآن الكريم معجز لوجوه كثيرة وأنه حجة للنبي صلى الله عليه وسلم، كما نجد أيضاً أن الجاحظ قد أشار إلى مذهب الصرفة أثناء وصفه لكتابه " نظم القرآن " إذ يقول " وبلغت منه أقصى ما يمكن مثلي في الاحتجاج للقرآن والرد على كل طحان، فلم أدع فيه مسألة لرافضي والحديثي والحشوي ولا لكافر مياذ ولا منافق مقموع ولا لأصحاب النظام ممن يزعم أن القرآن حق وليس تأليفه بحجة، وأنه تنزيل وليس ببرهان، ولا دلالة" (2) .

ثم جاء أبو الحسن الأشعري، ونسب القول بالصرفة إلى النظام يقول: " وقال النظام : " الآية والأعجوبة في القرآن ما فيه من الأخبار عن الغيوب فأما التأليف والنظم فقد كان يجوز أن يقدر عليه العباد، لو لا أن الله منعهم بمنع وعجز أحدثهما فيهم" (3)، وجاء الشهرستاني يرد على ما قاله أبو

(1): المرجع السابق: قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة العربية، ص 145.

(2): المرجع نفسه: ص 145.

(3): المرجع نفسه: ص 147.

الحسن فقد جاء في "كتابه الملل والنحل": "وانفرد عن أصحابه أي النظام بمسائل منها قوله في إعجاز القرآن أنه من حيث الأخبار عن الأمور الماضية والآتية ومن جهة صرف الدواعي عن المعارضة، ومنع العرب عن الاهتمام به جبراً وتعجيزاً حتى لو خلاهم لكانوا قادرين على أن يأتوا بسورة من مثله بلاغة وفصاحة ونظماً"<sup>(1)</sup>، فالأشاعرة وعلى رأسهم أبو الحسن الأشعري نسب القول بالصرفة إلى النظام وكذلك الشهرستاني.

ولكن البغدادي نجده قد زاد عن أبي الحسن الأشعري فيما نسب إلى النظام فقد نسب هو الآخر القول بالصرفة إلى "النظام" وزاد أن العباد قادرون على الإتيان بما هو أحسن منه في النظم والتأليف، يقول: "الفضيحة الخامسة عشر من فضائحه (أي النظام قوله: أن نظم القرآن، وحسن تأليف كلماته ليس بمعجزة النبي عليه الصلاة والسلام. ولا دلالة على صدقه في دعواه النبوة، وإنما وجه الدلالة منه على صدقه ما فيه من الأخبار عن الغيوب، فأما نظم القرآن وحسن تأليف آياته فإذا العباد قادرون على مثله وعلى ما هو أحسن منه في النظم والتأليف"<sup>(2)</sup>، كما نجد بأن هناك اختلاف في الآراء بين أكثر المتكلمين من رؤوس الفرق الإسلامية، فلكل منهم له رأي وفكر خاص به .

ويمكننا القول بأن مذهب الصرفة نسب إلى النظام كما جاء في "أن القول بالصرفة وجد من يقول به أمثال ابن حزم الظاهري وابن سنان الخفاجي والرماني وغيرهم مع الاختلاف في جهة الصرف، فمنهم من يرى أن الله صرفهم بأن الصرف دواعيهم إلى المعارضة مع توفر الأسباب الداعية

(1): أبي الفتح حمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني: الملل والنحل، تحقيق أمير علي مهنا، علي حسن فاعود، ج1، دار المعرفة، بيروت- لبنان، ط3، 1414هـ- 1993م، ص 70-71.

(2): عبد العزيز عبد المعطي عرفة، قضية الإعجاز القرآني، دار البلاغة العربية، عالم الكتب، ط1، 1405هـ- 1985م، ص 147-148.

إلى المعارضة، خصوصا بعد التحدي والعجز، والتكبيت، ومنهم من يرى أن الله صرفهم بأن سلبهم العلوم التي يحتاج إليها في المعارضة، أو منهم بالإلجاد إلى جهة العشر عن المعارضة مع كونهم قادرين وسلب قواهم عن ذلك، فلأجل ذلك لم تحصل من جهتهم المعارضة، ولعل اختلاف المسلمين حول نظم القرآن وتأليفه من حيث الإعجاز وعدمه هو الذي شجع الملحدون لتوجيه سهامهم نحو النظم القرآني بالطعن عليه، على الأدب العربي بوجه عام فألف الرواندي كتابه "الدامغ" يطعن فيه على نظم القرآن<sup>(1)</sup>.

وقد اختلف المسلمين حول نظم القرآن وتأليفه من حيث الإعجاز ومنهم المعتزلة "ولما أكثر المعتزلة لا يقولون بالصرفة بل يقولون بإعجاز القرآن في نظمه وتأليفه كما جاء في نص لأبي الحسن الأشعري يقول: و اختلفوا أي المعتزلة في نظم القرآن، هل هو معجز أم لا؟، فقالت المعتزلة إلا " النظام " و " هشاما الفوطي " و " عباد ابن سليمان ": تأليف القرآن ونظمه معجز، محال وقوعه منهم كاستحالة إحياء الموتى منهم، وأنه علم لرسول الله صلى عليه وسلم وكذلك أهل السنة كلهم يقولون: بإعجاز القرآن في نظمه"<sup>(2)</sup>.

هب الجميع بالرد على مذهب الصرفة والدفاع عن النظم القرآني، "ومثل المعتزلة الجاحظ ومثل أهل السنة ابن قتيبة، و ثم خض دفاعهما عن المسائل البلاغية وأراء في البيان العربي وإبراز

(1): المرجع السابق: قضية الإعجاز القرآني وأثرها 35 لغة العربية، ص 144 - 150.

(2): المرجع نفسه: ص 150.

محاسنه"<sup>(3)</sup>، ومن الذين دافعوا عن النظم القرآني، نجد الجاحظ والذي كان يمثل مذهب المعتزلة وابن قتيبة الذي مثل أهل السنة فكل منهما قد ثار على مذهب الصرفة.

وفي القرن الثالث، أيضا ظهر شعراء البديع وتطرف الملحدون فطعنوا على النظم القرآني وعلى الأدب العربي بوجه عام فانبرى لهم ابن المعتز ورد عليهم فكان جمع هذه الآراء البيانية في كتاب البديع"<sup>(4)</sup>.

كما قام ابن المعتز في كتابه البديع بجمع آراء بيانية وخاض في الدفاع عن النظم القرآني من خلال تأكيده على سمو القرآن الكريم وبلوغه الدرجة العليا من البلاغة .

وقد ناقش القاضي فكرة الصرفة" يناقش القاضي فكرة الصرفة ويبطل أن تكون هي الوجه في الإعجاز ويذكر أن راية التحدي ذاتها تدل على إفساد القول بها." وذلك أنه لا يقال عن الشيء يمنعه الإنسان بعد القدرة عليه، وبعد أن كان يكثر منه، إني قد جئتكم بما لا تقدرُونَ على مثله، ولو احتشدتم له، ودعوتم الإنس والجن إلى نصركم وإنما يقال: إني أعطيك أن أحول بينكم وبين كلام كنتم تستطيعونه، وأمنعكم إياه، وأن أقحمكم عن القول البليغ وأحرمكم اللفظ الشريف وما شاكل ذلك"،  
وحيث لم يقل القرآن ذلك في تحريره يكون الذهاب إلى القول بالصرفة باطلاً"<sup>(1)</sup>، أي أن القرآن معجز في نفسه وأنه في نظمه وتأليفه لا يمكن لأي بشر الإتيان به، فالقاضي قد رفض فكرة الصرفة رفضاً مطلقاً ولم يعتبرها أن تكون وجه من وجوه الإعجاز.

(3): المرجع نفسه: ص 150.

(4): المرجع نفسه: ص 150.

(1): عبد الرؤوف مخلوف: الباقلائي وكتابه إعجاز القرآن" دراسة تحليلية نقدية"، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت- لبنان، 1978، ص 492-

الدفاع عن النظم القرآني بوجه عام: نجد كل من الجاحظ وابن قتيبة، وابن المعتز :

فالجاحظ أثبت عجز العرب، وذلك من خلال دفاعه عن النظم القرآني والبيان العربي بوجه عام، " كتاب نظم القرآن: بعد أن أثبت الجاحظ عجز العرب وهم في أوج بلاغتهم عن معارضة القرآن الكريم قرر في صراحة: أن الذي أعجزهم مع أنه من حسن كلامهم نظمهم البديع الذي يقدر على مثله العباد، يقول: " وجاد النبي صلى الله عليه وسلم " هذا الكتاب الذي نقرأه فوجب العمل بما فيه وأنه تحدي البلغاء والخطباء والشعراء بنظمه وتأليفه في المواضع الكثيرة والمحافل العظيمة فلم يرم ذلك أحد، ولا تكلفه ولا تأتي ببعضه ولا تشبه منه ولا أدعى أنه قد فعل " (2).

ويقول أيضا في كتابه الحيوان " وفي كتابنا المنزل يدلنا على أنه صدق نظمهم البديع الذي لا يقدر على مثله العباد، مع ما سوى ذلك من الدلائل التي جاء بها من جاء به " (1)، فواضح من كل هذا أن الجاحظ لا يرى " الصرفة " بمعنى لا إعجاز في النظم وإنما الإعجاز في المنع أو العجز الذي أحدثه الله في العرب ولو خلوا لكانوا قادرين على الإتيان بمثله وإنما يرى أن القرآن معجز بنظمه وتأليفه وأن العباد عاجزون على الإتيان بسورة من مثله " (2).

ونجد أيضا ممن دافعوا على النظم القرآن ابن قتيبة " بادر في صدور كتابه " تأويل مشكل القرآن " بيان وجه الإعجاز القرآني فقر أنه معجز بتأليفه البديع ونظمه العجيب، يقول " وقطع منه

(2): مرجع سبق ذكره: قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة العربية، ص 155.

(1): المرجع السابق: قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة العربية، ص 155.

(2): المرجع نفسه: ص 155.

بمعجز التأليف أطماع الكائدين وأبانه بعجيب النظم عن حيل المتكلفين"<sup>(3)</sup>، ثم بين أسرار النظم القرآني.

ابن المعتز: والبديع عند ابن المعتز "ليس ما تعارف عليه المتأخرون من وجوه تحسين الكلام اللفظية والمعنوية، وإنما هو مصطلح عام يطلق على كثير من مصطلحات البلاغة كالاستعارة والجناس، والطباق وغيرها"<sup>(4)</sup>.

المحسنات البديعية أو وجوه البلاغة في القرن الرابع الهجري ومحاولة تحليل وجه الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم بها: "فقد جاء القرن الرابع الهجري ولا تزال قضية الإعجاز تدفع العلماء إلى استنباط المحسنات البديعية وتعميقها، لتؤسس بذلك إلى تحليل وجه الإعجاز البلاغي، ليدرك الناس كيف بلغ القرآن حد الإعجاز. وقد استفاد علماء هذا القرن بجهود السابقين حول الدفاع عن النظم القرآني وخاصة ابن المعتز، فظهرت حركة النقد المنظم، وبلغت درجة سامية"<sup>(5)</sup>.

أما وجوه الإعجاز للرماني تتمثل في "ترك المعارضة مع توفر الدواعي وشدة الحاجة والتحدي للكافة، والصرفة، والبلاغة والأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلية ونقص العادة، وقياسه بكل معجزة"، فأما البلاغة فهي ثلاث طبقات: منها ما هو في أعلى طبقة ومنها ما هو في أدنى طبقة، ومنها ما هو في الوسائط بين أعلى طبقة وأدنى طبقة، فما كان في أعلاها طبقة فهو معجز وهو بلاغة القرآن وما كان دون ذلك فهو ممكن كبلاغة البلغاء من الناس"<sup>(1)</sup>.

والبلاغة على عشرة أقسام: "الإيجاز والتشبيه، والاستعارة والتلاؤم والفواصل والتجانس والتصريف، والتضمن والمبالغة، وحسن البيان"<sup>(2)</sup>، والإيجاز وقد قسمه إلى قسمين: الحذف والقصر وكل باب فصل فيه في رسالته النكت في إعجاز القرآن.

(3): المرجع نفسه: ص 213.

(4): المرجع نفسه: ص 285.

(5): المرجع نفسه: ص 299.

(1): ثلاث رسائل في إعجاز القرآن الكريم "الرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني" في الدراسات القرآنية والنقد الأدبي: ، تحقيق محمد خلف الله

أحمد محمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة- ط3، د-ت، ص 75.

(2): المرجع نفسه: ص 76.

أبو هلال العسكري، وهو صاحب الصناعتين " الكتابة والشعر " وقد استهله ببيان أن القرآن الكريم معجز " بما خصه الله له من حسن التأليف وبراعة التركيب، وما شحنه به من الإيجاز البديع والاختصار اللطيف وضمنه من الحلاوة، جلله من رونق الطلاوة مع سهولة كلمة وجزالتها، وعذوبتها وسلاستها إلى غير ذلك من محاسنه التي عجز الخلق عنها وتحيرت عقولهم فيها، ولا يرضى بالتقليد في وجه إعجاز القرآن البلاغي لأنه طريق الجاهل الغبي وعلى المرء أن يتعلم البلاغة فهي أحق العموم بالتعلم، وأولاهها بالتحفظ إذ بها يعرف إعجاز القرآن الكريم معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم، ودلالة صدقه فيها يبلغ عنه ربه" (3).

ويمكننا القول أن الإعجاز القرآن البلاغي كان سببا في التمهيد لنظرية النظم وقد مر بمراحل عدة وخاض فيه الكثير من البلاغيين والنحويين آنذاك.

إن استنباط ألوان البديع من نصوص الأدب العربي بعامة، ومحاولة تعليل وجه الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم بها، ولم يقتنع بها الفكر البلاغي لدى المسلمين وشرعوا في البحث عن مقياس ينطبق على القدر المعجز من القرآن الكريم، ويبرز أسباب الحسن والجمال الكامنة فيه، من أجل ذلك بدأوا يعيدون النظر في طريقة دراستهم للبلاغة وتمخض عملهم عن " نظرية النظم " التي كان لها خطرها في ازدهار الدراسات البلاغية ولعل أول من نبه لأذهان على ذلك الإمام الخطابي في رسالته: " بيان إعجاز القرآن" (1).

ويعتبر الخطابي من أوائل من نبهوا أنه من الممكن تعليل وجه الإعجاز القرآن الكريم بالبلاغة إذا ما عرضت بالشكل الصحيح، وذلك عما جاء في رسالته.

**بيان إعجاز القرآن:** وتمثل قول الخطابي في بيان إعجاز القرآن: " قد أكثر الناس في هذا الباب قديما وحديثا، وذهبوا فيه كل مذهب من القول، وذلك لنقد ومعرفة وجه الإعجاز في القرآن الكريم ومعرفة الأمر في الوقوف على كلفيته. فأما أن يكون قد بقيت في النفوس تقية يكونه معجزاً للخلق ممتنعاً

(3): عبد العزيز المعطي عرفة، قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة العربية، عالم الكتب، ط1، 1405هـ- 1985، ص 344.

(1): المرجع السابق: قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة العربية، ص 389.

عليهم الإتيان بمثله على حال فلا موضع لها والأمر في ذلك أبين من أن نحتاج أن ندل عليه بأكثر من الوجود القائم المستمر على وجد الدهر، من لدن عصر نزوله إلى الزمان الراهن الذي نحن فيه<sup>(2)</sup>، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قد تحدى العرب قاطبة بأن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا و انقطعوا دونه<sup>(3)</sup>.

وذهب قوم إلى " أن العلة في إعجازه الصرفة، أي صرف الهمم عن المعارضة وإن كانت مقدوراً، وغير معجزة عنها، إلا أن العائق من حيث كان أمراً خارجاً عن مجرى العادات صار كسائر المعجزات"<sup>(4)</sup>.

وزعمت طائفة أن إعجازه إنما هو فيما يتضمنه من الإخبار عن الكوائن في مستقبل الزمان نحو قوله سبحانه: " ألم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون، في بضع سنين" ونحوهما من الأخبار التي صدقت أقوالها مع أكوانها"<sup>(1)</sup>.

وزعم آخرون " أن إعجازه من جهة البلاغة وهم الأكثر من علماء أهل النظر، وفي كلفتها يعرض لهم الإشكال، ويصعب عليهم منه الانفصال"<sup>(2)</sup>.

وعليه يمثل " القسم الأول أعلى طبقات الكلام وأرفعها، والقسم الثاني أوسطه وأقصده والقسم الثالث أدناه وأقربه، فحازت بلاغات القرآن من كل قسم من هذه الأقسام حصة، وأخذت من كل نوع من أنواع شعبة"<sup>(3)</sup>.

(2): المرجع السابق: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن الكريم " الرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني " في الدراسات القرآنية والنقد الأدبي، ص 21.

(3): المرجع نفسه: ص 21.

(4): المرجع نفسه: ص 22.

(1): المرجع السابق: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن الكريم " الرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني " في الدراسات القرآنية والنقد الأدبي، ص 23.

(2): المرجع نفسه: ص 24.

(3): المرجع نفسه: ص 27.



وأعلم أن "القرآن إنما معجزاً لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف مضمناً أصح المعاني"<sup>(4)</sup>.

فأما "المعاني التي تحملها الألفاظ فالأمر في معاناتها أشد لأنها نتائج العقول ودلائل الأفهام ونبات الأفكار، وأما رسوم النظم فالحاجة إلى الثقافة والحذق فيها أكثر لأنها لجام الألفاظ وزمام المعاني وبه تنظيم أجزاء الكلام، ويلتم بعضه ببعض فتقوم له صورة في النفس يتشكل بها البيان"<sup>(5)</sup>.

و أبو محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر ابن قاسم المعروف بالباقلاني "كان على مذهب الشيخ أبي الحسن الأشعري، ومؤيداً اعتقاده وناصراً طريقته وأهم كتبه التي عالجت قضية الإعجاز القرآني في كتاب "إعجاز القرآن" الذي أجمع المتأخرون على أنه لم يصنف مثله"<sup>(1)</sup>.

ويذكر أن القرآن الكريم هو "الكتاب السماوي الوحيد المعجز بنظمه وتأليفه أم الكتب السماوية الأخرى كالنوراة والإنجيل والصحف فهي معجزة بما تتضمنه من الأخبار بالغيوب فقط وليست بمعجزة بالنظم والتأليف، لأن الله تعالى لم يصفها بما وصف به القرآن ولم يقع التحدي إليها كما وقع التحدي إلى القرآن، ولأن اللسان التي نزلت به، لا يأتي فيه وجوه الفصاحة ما يقع به التفاضل الذي ينتهي إلى حد الإعجاز ولكنه يتقارب، إنما اللسان الذي يأتي فيه وجوه الفصاحة وكذلك التصرف في الاستعارات والإشارات وجوه البديع هو اللسان العربي"<sup>(2)</sup>.

ونجد أن الباقلاني "يفتح فصلاً لبيان وجوه الإعجاز القرآني عنده وعند الأشاعرة من أصحابه ويردها إلى ثلاثة وهي:

1- ما يتضمنه من الأخبار، وكذلك مما لا يقدر عليه الشر، ولا سبيل لهم إليه.

2- ما يتضمنه من الأخبار عن الأمم الماضية مع أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان أمياً ومعلوم بالضرورة أن هذا مما لا سبيل إليه إلا عن تعلم.

(4): المرجع نفسه: ص 27.

(5): المرجع نفسه: ص 36.

(1): المرجع السابق: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن الكريم "الرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني"، ص 401.

(2): المرجع نفسه: ص 403.

3- أن بديع النظم عجيب التأليف، متناه في البلاغة إلى الحد الذي يعلم عجز الخلق عنه، وهو يعترف بأخذ هذا الوصف عن العلماء، ولكنه يراه مجملا أما هو فسوف يفصل بعض التفصيل...ويقول: فالذي يشتمل عليه البديع نظمه المتضمن الإعجاز هو وجوه:

1- أن نظم القرآن على تصرف وجوهه، خارج عن المعهود من نظام جميع كلامهم ومباين المؤلف من ترتيب خطابهم.

2- أنه ليس للعرب كلام مشتمل على هذه الفصاحة والغرابة والتصرف البديع والمعاني اللطيفة والفوائد الغزيرة، والحكم الكثيرة.

3- أن عجيب نظمه، وبديع تأليفه لا يتفاوت، ولا يتباين، على ما يتصرف إليه من الوجوه التي يتصرف فيها، من ذكر قصص ومواعظ واحتجاج، وحكم وأحكام وأعدار وإنذار.

4- وهو الكلام الفصحاء يتفاوت تفاوتاً بينا في الفصل والوصل والعلو والنزول، والتقريب والتباعد، وغير ذلك مما ينقسم إليه الخطاب عند النظم...<sup>(1)</sup>.

5- وهو أن نظم القرآن وقع موقعا في البلاغة ويخرج عن عادة كلام الإنس والجن، فهم يعجزون عن الإتيان بمثله كعجزنا ويقصرون دونه كقصورنا.

6- هو أن ينقسم عليه الخطاب من البسط والاقتصار والجمع و التفريق والاستعارة والتصريح والتجوز والتحقيق، ونحو ذلك من الوجوه التي توجد في كلامهم، موجود في القرآن، وكل ذلك مما يتجاوز حدود كلامهم المعتاد بينهم في الفصاحة والإبداع والبلاغة.

7- وهو أن ورود تلك المعاني التي يتضمنها في أصل وضع الشريعة والأحكام والاحتجاجات في أصل الدين والرد على الملحدين على تلك الألفاظ البديعة وموافقة بعضها بعضا في اللفظ والبراعة، مما يعتذر على البشر.

8- وهو أن الكلام يبين فضله، ورجحان فصاحته، بأن تذكر منه الكلمة في تضاعيف الكلام، أ و تقذف ما بين شعر.

(1) المرجع السابق : ثلاث رسائل في إعجاز القرآن الكريم " الرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني"، ص 405-406.

9/- وهو أن الحروف التي يبني عليها كلام العرب تسعة وعشرون حرفاً وعدد السور التي افتتح فيها يذكر الحروف ثمان وعشرون سورة.

10/- وهو أن يسهل سبيله، فهو خارج عن الوحي المستكره والغريب المستنكر وعن الصنعة المتكلفة، وجعله قريباً إلى الأفهام هذه هي خصائص النظم القرآن، كما الباقلائي قد بناها على فكرة أن النظم القرآني خارج عن المعهود من نظوم كلام العرب من ناحية تصرف أسلوبه في تناوله للمعاني والتعبير عنها مع أن الحروف حروفهم<sup>(1)</sup>، وعليه فإذا كنا قد رأينا قضية الإعجاز القرآني "نشأة وراء الثورة على ألوان البديع أو وجوه البلاغة فسوف نراها بوضوح وراء نظرية النظم"<sup>(2)</sup>، فالقاضي عبد الجبار - مدفوعاً بقضية الإعجاز البلاغي - "استطاع أن يكشف عن نظرية النظم، التي كان لها خطرهما في علوم البلاغة فيما بعد، فإن طغيان جدل المنطق على أسلوبه في معالجة مسائل الإعجاز حال بين البلاغة ونموها، وبالتالي بعد عن طريقة الرماني وأبي هلال العسكري"<sup>(3)</sup>.

ولكن لم يكفد ينتهي القرن الرابع هجري فرأينا تلميذه أبا الحسن محمد بن الحسين بن موسى الموسوي العلوي "يتناول مجاز القرآن واستعاراته فيوضحها ويبرز سر الجمال فيها ومواضيع الإعجاز، وذلك في كتابه القيم "تلخيص البيان في مجازات القرآن"، وهو يعني المجازات التي تقابل الحقيقة وليس طريق التعبير كما رأينا فيما سبق عند أبي عبيدة معمر بن المثنى والشريف الرضي في عرضه لمجازات القرآن واستعاراته لا يجرمنا من قيمة حول النظم القرآني وبراعته في اختيار الكلمات ووضعها في مكانها اللائق بها"<sup>(4)</sup>، ومن هنا جاءت نظرية النظم واثراء البلاغة العربية والتي وضع أسسها عبد القاهر الجرجاني.

" وجاء القرن الخامس هجري ولا تزال قضية الإعجاز القرآن تملأ على المسلمين حياتهم، وتدفع العلماء إلى البيان والبلاغة لإدراك الوجه البلاغي لإعجاز القرآن الكريم، وكان من أقوى التخصصات

(1): المرجع السابق : ص 408.

(2): المرجع نفسه: ص 422.

(3): المرجع نفسه: ص 433.

(4): المرجع نفسه: ص 444.

في هذا القرن الإمام عبد القاهر الجرجاني الذي دافع عن قضية الإعجاز دفاعاً مجيداً ومن أجلها استطاع أن يقيم نظرية النظم ويثبت أركانها<sup>(5)</sup>.

ونجد أن عبد القاهر الجرجاني في رسالته الشافية: "والتي أقر فيها بيان عجز العرب حين تحدو إلى معارضة القرآن وكل ما يتصل بذلك من أحوال الشعراء والبلغاء" وهذه جمل من القول في بيان عجز العرب حين تحدوا إلى القرآن و إذا عانهم وعملهم أن الذي سمعوه فائق للقوى البشرية ومتجاوز للذي يتبع له ذرع المخلوقين، وفيما يتصل بذلك مما له اختصاص بعلم أحوال الشعراء والبلغاء ومراتبهم وبعلم الأدب جملة، فيها الإيضاح والتبين وحنوت الكلام حذواً هو يعرف علماء العربية أشبه، وفي طريقهم أذهب وإلى الإفهام جملة أقرب"<sup>(1)</sup>.

وتمثل كلامه في قوله: "أعلم أن لكل نوع من المعنى نوعاً من اللفظ هو به أخص وأولى، وضروبا من العبارة هو بتأديته أقوم، وهو فيه أجلى ومأخذ إذ أخذ منه كائن الفهم أقرب وبالقبول أخلق وكان السمع له أرعى والنفس إليه أميل وإذ كان الشيء متعلق بغيره، ومقيسا على ما سواه، كان من خير ما يستعان به على تقريبه من الأفهام وتقديره، في النفوس أن يوضع له مثال يكشف عن وجهه ويؤنس به ويكون زماماً عليه يمسكه على المتفهم له والطالب علمه"<sup>(2)</sup>، ومن هنا يمكننا القول أن بدايات نظرية النظم له تكن على يد عبد القاهر الجرجاني المنتمي لمدرسة الأشعرية والمذهب الشافعي وإنما الأصول الأولى كانت متمحورة عند سابقه فقد ذكرها كل من ابن قتيبة والجاحظ والباقلاني وغيرهم كثير، ولكن لم يتعمقوا فيها مثل الجرجاني، حيث ارتبطت نظرية النظم بقضية إعجاز القرآن وتأليفه.

تطور مصطلح النظم من القرن الأول إلى القرن الخامس هجري، بحيث لا نجد أي فترة من هذه المراحل، إلا وذكر فيها مصطلح النظم، ولكن ارتباطها كان متعلق بإعجاز القرآن بشكل كبير

(5): المرجع نفسه: ص 441 .

(1): مرجع السابق: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن الكريم "الرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني"، ص 117.

(2): المرجع نفسه: ص 117.

فطرحت هذه القضية وحاول الكثير معالجتها، فتضاربت الآراء واختلفت فيما بينها، حتى وصلت فكرة النظم إلى عبد القاهر الجرجاني الذي هذبها وفق منظوره ومعرفته بعدما قطعت أشواطاً طويلة ومساراً معرفياً وتاريخياً على يد لغويين برعوا في الدراسات اللغوية والبلاغية، حيث ما دفع عبد القاهر الجرجاني في نظريته في النظم ما وصلت إليها الكثير من القضايا في عصره، ومنها قضية اللفظ والمعنى وخاصة انتصاره لقضية الإعجاز القرآني هذا الموضوع الذي يتأرجح من الفقهاء والمتكلمين، فمرت نظرية النظم بعدة مراحل لكن لم يكتمل نضجها إلى مع عبد القاهر الجرجاني، فرغم أن الذين سبقوه من العلماء قد تناولوها، ولكن لم تلقى الفهم الصحيح والمعنى الحقيقي إلا عنده، فقد بناها على درجة كبيرة من الدقة والبلاغة حتى فاقت العديد من الدراسات والنظريات الغربية الأخرى، فوصولها لعبد القاهر الجرجاني لم يكن محض صدفة بل جاءت بعد مرجعيات وقضايا عدة، وكان له الفضل الكبير لأنه استطاع أن يؤسس لنظرية هي الأولى من نوعها في القرنين الرابع والخامس الهجري، وساهم في ازدهار البلاغة العربية.

# الفصل الثاني

نظرية النظم عند عبد القاهر

الجرجاني

المبحث الأول: عبد القاهر الجرجاني سيرته ومؤلفاته

المبحث الثاني: الأسس الفكرية لنظرية النظم عند

عبد القاهر الجرجاني

المبحث الثالث: نظرية النظم عند عبد القاهر

الجرجاني وأثرها في الإعجاز

المبحث الأول: عبد القاهر الجرجاني سيرته ومؤلفاته

1/- سيرته: هو "عبد القاهر الجرجاني بن عبد الرحمان أبو بكر النحوي، فارسي الأصل جرجاني الدار، عالم بالنحو والبلاغة، أخذ النحو بجرجان عن الشيخ أبي الحسن محمد بن الحسين بن محمد بن عبد الوارث الفارسي، نزيل جرجان، ابن أخت الشيخ أبي علي الفارسي، وأكثر عنه، وقرأ ونظر في تصانيف النحاة والأدباء وتصدر بجرجان، وحُثت إليه الرحال. وصنف التصانيف الجليلة، وكان رحمه الله ضيق العطف لا يستوفي الكلام على ما يذكره مع قدرته على ذلك"<sup>(1)</sup>.

وقد عُرف عنه "سعة العلم وغزارته، واشتهر بعلم النحو، حتى كان يُسمى "عبد القاهر الجرجاني النحوي، وله مصنفات كثيرة في النحو، ولكن جهوده في علم البلاغة فاقت جهوده في علم النحو، بما أحدث فيها من آراء ووطد من نظريات، ومن ثم معرفة مدى علمه الغزير الذي جعل العلماء والأدباء بعده يلقبونه إمام البلاغيين، لما بسطه في كتابه "دلائل الإعجاز" و"أسرار البلاغة"، فهو عالم فاضل من علماء جرجان، بلغت شهرته الآفاق، وأضاءت مؤلفاته المكتبات، لأنه أنه من صنّف في علم البيان والبديع، وقد أفاد من المؤلفات التي سبقته، وأضاف إليها ما كون ثروة بلاغية نفخر بها تتباهى، مع ما عُرف عن هذا الشيخ الجليل أنه لم يسافر إلى بلد ولم ينتقل طلباً للعلم، ولم تذكر كتب التراجم أنه اتصل بعلماء عصره"<sup>(2)</sup>، وعليه فإن عبد القاهر الجرجاني قد كان "عالماً دينياً وقف تفكيره ووهب حياته للدفاع عن الإسلام، وكان خير مدافع ومما يدلنا على عاطفته الدينية

(1): جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي: أنباء الرواة على أنباء النحاة، ج2، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، 1406هـ- 1986م، ص 188.

(2): رسالة ماجستير في علوم البلاغة: بعنوان "مصادر الإمام عبد القاهر الجرجاني في بلاغته"، الطالبة هند جميل صالح باية، إشراف علي محمد حسن العماري، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1407هـ- 1777م، ص 2-3.

مضافاً إلى ما ذكره بعض مترجميه ما نلمسه في الدلائل من أقوال تدل على سمو عواطفه الدينية، مما جعل ذكر الله سبحانه وتعالى دائماً واضحاً في كتاباته حيث يستهل تقريباً كل فقرات مصنفة الدلائل بذكر العي القدير، جاعلاً الاستعانة بالله في أكثر فصول الكتاب، من ذلك قوله: " ونسأل الله الهداية"، " والله الموفق للصواب..."" "...أستعين بالله"، وهكذا نلاحظ على الشيخ عبد القاهر الجرجاني الدقة في اختيار خواتم الفقرات والفصول اختياراً يناسب المعنى الأساسي للفكرة، وكما هو ملاحظ أن عبد القاهر الجرجاني متأثراً بالقرآن الكريم في تعبيراته، فهذا هو ذا بعد أن توصل إلى أن الألفاظ تبع للمعاني في النظم، وأن الكلم تترتب في النطق حسب ترتب معانيها في النفس"<sup>(1)</sup>.

**وفاته:** لقد توفي " شيخ البلاغة وإمامها الفذ في سنة احدى وسبعين وأربعمائة للهجرة، وقيل سنة أربع وسبعين وأربعمائة للهجرة"<sup>(2)</sup>.

### أساتذة الشيخ عبد القاهر الجرجاني:

إن شخصية العالم القوية والفذة هي من جعلته يتميز عن غيره وساهمت في تكوينه فقد عرف عنه " أنه لم يخرج من بلد، لتلقى العلم، ولم يرو أنه اتصل بسطان أو أمير، ولم يختلف إلى أحد من الفقهاء والشيخ المشهورين، ولم يعرف عن أسرته أنها قدمت له مساعدة في هذا الشأن أو جلبت له المعلمين، بل الذي عرف عنه انكبابه على الدرس. وتحصيل العلوم، وتلقف كل ما وصلت إليه يد

(1): المرجع السابق: رسالة ماجستير في علوم البلاغة: بعنوان " مصادر الإمام عبد القاهر الجرجاني في بلاغته"، ص 4.

(2): جمال الدين أبي الحسن، علي بن يوسف القفطي: إنباء الرواة على أنباء النحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ج2، دار الفكر العربي، القاهرة، مؤسسة الكتب الثقافية، ط1، بيروت- لبنان، 1406هـ- 1906م، ص 189.



بالتحصيل والدرس"<sup>(3)</sup>، كما ذكر ابن الأنباري حين قال: "هو أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني النحوي، كان من أكابر النحويين، أخذ عن أبي الحسين محمد بن الحسين بن محمد بن عبد الوارث، وكان يحكي عنه كثيراً، لأنه لم يلق شيخاً مشهوراً في علم العربية، لأنه لم يخرج عن جرجان في طلب العلم، وإنما طراً عليه أبو الحسن فقراً عليه"، والملاحظ أن المؤرخين لحياة (الشيخ عبد القاهر الجرجاني) اتفقوا جميعاً على أنه لم يتصل بكثير من العلماء، ولكن بعضهم اختلفوا في أستاذه، بينما ذكر ياقوت الحموي ( أن عبد القاهر قرأ على القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني واغترف من علمه، وكان إذا ذكره في كتبه تبخيش قال بخ بخ - به وشمخ بأنفه بالانتماء إليه، غير أن الحموي نفسه قال في ترجمة ( محمد بن الحسين ابن أخت أبي علي الفارسي أن من تلاميذه عبد القاهر، وليس له أستاذ سواه"<sup>(1)</sup>، والقول الأخير أقرب إلى الصحة، " لأن القاضي الجرجاني مات في بعض الروايات في سلخ صغر سنه ست وستين وثلاثمائة، وفي بعضها أنه مات سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة، ولا يعقل أن يتصل به عبد القاهر حتى أواخر أيامه وقد شك معظم الباحثين في هذه التلمذة"<sup>(2)</sup>.

ومع هذا نجد أن الشيخ عبد القاهر الجرجاني قد انكب على كتب العلم، إذ كانت جرجان تغص بالوافدين من العلماء والفقهاء، مما أتاح له في يده فرصة كبيرة للقراءة والإطلاع على الكثير من المؤلفات بعقل واع، ونقل عن كثير من العلماء الأفاضل. أمثال: سيويه، الجاحظ، المبرد، ابن جني، العسكري، القاضي الجرجاني وغيرهم، وكان يشير مرة إلى مرة من أخذ منهم ويوضح أسمائهم،

(3): المرجع نفسه: ص 21.

(1): المرجع السابق: إنابة الرواة على أنبأ النحاة، ص 21.

(2): المرجع نفسه: ص 21.

وفي أخرى يأخذ منهم دون أن يشير إلى من أخذ منه، وكان إلى جانب ما عرف عن علمه الغزير وثقافته الواسعة عُرف عنه كذلك ورعة ودينه، بل عاطفة دينيه متأججة، وتلك التي وضحت في جوانب مؤلفاته، مما جعله إمام عصره وشيخا لعلمي البيان والمعاني.

### تلاميذ الشيخ عبد القاهر الجرجاني:

ومن تلاميذ الجرجاني الذين نهلوا منه العلم والمعرفة نذكر :

1- يحيى بن علي الخطيب التبريزي، قال طاش كبرى زاده في ترجمته "هاجر إلى أبي العلاء المعري، وأخذ عنه، وعن عبيد الله الرقي والحسن بن رجاء بن الدهان وابن برهان والمفضل القصباني وعبد القاهر الجرجاني"<sup>(1)</sup>.

2- أبو ناصر أحمد بن إبراهيم بن محمد الشجری: ذكره ( القفطي)، فقال: " قال ابن غياض الشامي الكفرطابي النحوي ونقلته بخطه في تذكرته في آخر نسخة المقتصد لعبد القاهر الجرجاني بالرى مكتوبا ما حكايته: "قرأ على الأخ الفقيه أبو نصر أحمد بن محمد محمد الشجری أيده الله- هذا الكتاب من أوله إلى آخره قراءة ضبط وتحصيل وكتبه عبد القاهر بن عبد الرحمان بخطه في شهر رمضان المبارك سنة أربع وخمسين وأربعمائة، حامداً لربه ومصليا على محمد رسوله وآله"<sup>(2)</sup>.

3- أحمد بن عبد الله المها باذي الضرير.

(1): المرجع السابق: إنابة الرواة على أنبأ النحاة، ص 23.

(2): المرجع نفسه: ص 24.

4/- علي بن أبي زيد الفيصحي المتوفى سنة 516هـ، طراً عليه أبو الحسين، فقرأ عليه، وأخذ عنه

علي بن أبي زيد الفيصحي.

أهم مؤلفاته وآثاره العلمية: (3)

- 1/- كتاب شرح الفاتحة: وهو من كتبه التي لا نعلم عنها شيئاً سوى ما قالوا عنه أنه في مجلد واحد.
- 2/- درج الدرر في تفسير الآيات والسور.
- 3/- المعتضد، ذكره القفطي في انبأ الرواة ( ولقد طبع).
- 4/- الشرح الصغير.
- 5/- الرسالة الشافية ( وهي في إعجاز القرآن الكريم وقد طبعها الدكتور محمد خلف الله أحمد، والدكتور محمد زغلول سلام، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن الكريم).
- 6/- دلائل الإعجاز: وهو دراسة بلاغية لإثبات إعجاز القرآن، ووضع نظرية لذلك .
- 7/- أسرار البلاغة: يحتوي هذا المؤلف أصول وقوانين الفنون البلاغية(1).
- 8/- المدخل في دلائل الإعجاز.
- 9/- الإيجاز.
- 10/- المعنى.
- 11/- المقتصد.
- 12/- التكملة.
- 13/- العوامل المائة.
- 14/- الجمل.
- 15/- التلخيص.
- 16/- العمدة.
- 17/- كتاب في العروض.

(3): المرجع نفسه: ص 24-25.

(1): المرجع السابق: إنبأ الرواة على أنبأ النحاة، ص 26.

18/- المختار من دواوين المتنبي والبحتري، وأبي تمام، مطبوع ضمن الطرائف الأدبية .

19/- مختار الاختيار.

20/- التذكرة.

21/- المفتاح

وتعتبر هذه المؤلفات لعبد القاهر الجرجاني من أهم الكتب التي تزخر بها المكتبة العربية، وذلك لاختلافها وتنوعها من نحو وبلاغة وصرف، وبعد مؤلفه " دلائل الإعجاز " و " أسرار البلاغة "، من الكتب التي اشتهر بهما والتي نالت حظاً وثيراً من الدراسات حولهما.

**المبحث الثاني: الأسس الفكرية لنظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني :**

**تعريف نظرية النظم:**

• **في الاصطلاح اللغوي:**

1/- **لسان العرب:** "نظم: النَّظْمُ: التَّأْلِيفُ، نَظَمَهُ يَنْظِمُهُ نِظْمًا وَنِظَامًا وَنَظَّمَهُ فَانْتَظَمَ وَتَنْظَمُ وَنَظْمَتْ

اللؤلؤ، أي جمعه في السلك، والتنظيم مثله، ومنه نظمت الشعر ونظمته، ولقد نظم الأمر على المثل -

وكل شيء قرنته بآخر أو ضمنت بعضه إلى بعض فقد نَظَمْتُهُ.

والنظم: المنظوم، وصف بالمصدر، والنظم: ما نظمته من لؤلؤ وحرز وغيرهما، واجدته نَظْمَةً، ونَظْمٌ

الحنظل: حبسه في صِيصائه<sup>(1)</sup>.

2/- (نَظَمَ) الأشياءَ نَظْمًا: أَلْفَهَا وَضَمَّ بَعْضَهَا إِلَى بَعْضِ اللَّوْلُؤِ وَنَحْوِهِ: جَعَلَهُ فِي سَلَكٍ وَنَحْوِهِ، وَيُقَالُ:

نَظَمَ الْخَوَاصُّ، الْخَوَاصُّ: ضَفَرَهُ وَشَعْرًا: أَلْفَ كَلَامًا مُوزونًا مَقْفِيًا، وَيُقَالُ نَظَمَ أَمْرَهُ: أَقَامَهُ وَرَتَّبَهُ.

(1): ابن منظور: لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرون، ج5، دار المعارف، القاهرة، ص 4469.

انتظم الشيء: تألف واتسق، يقال: نظمته فانتظم، ويقال: انتظم أمره: استقام، والأشياء جمعها وضم بعضها إلى بعض<sup>(2)</sup>.

3/- نظم الأشياء نظماً: ألفها وضم بعضها إلى بعض.

واللؤلؤ ونحوه: جعله في سلك ونحوه وشعراً: ألف كلاماً موزوناً مقفياً، ويقال نظم أمره: أقامه ورتبه، انتظم الشيء تألف واتسق، والأشياء جمعها وضم بعضها إلى بعض. تناظمت الأشياء: تضامت وتلاصقت، يقال: تناظمت الصخور<sup>(1)</sup>.

#### • المعنى الاصطلاحي عند النحاة:

ترددت كلمة النظم على أفواه الكثير من النحاة وكتبها أقلامهم، لكنها لم تتجلى بالمفهوم الشامل والمعنى الجلي إلا عند عبد القاهر الجرجاني " ترددت كلمة النظم على أقلام النحاة قبل عبد القاهر بمئات السنين، وقبل أن يحيلها عبد القاهر إلى نظرية بلاغية تنسب إليه حتى عصرنا هذا، كما عرفناه عند عبد القاهر قد عرفناه عند السابقين في وضوح تام"<sup>(2)</sup>، ونشير هنا إلى أن كلمة " النظم " قد عرفت قبل الجرجاني " فسيبويه يتحدث عن معنى النظم وائتلاف الكلام، وما يؤدي إلى صحته وفساده وحسنه وقبحه في مواضع كثيرة ومتفرقة من الكتاب. وقد عقد فصلاً أسماه، هذا باب الاستقامة من الكلام والإحالة، منه مستقيم حسن ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وما هو

(2): المعجم الوسيط: جمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 1425مصر، هـ- 2004م، ص 933.

(1): المعجم الوجيز: تأليف ونشر مجمع اللغة العربية، ط1، 1400هـ- 1980م، مصر، ص 623.

(2): عبد القادر حسين: أثر النحاة في البحث البلاغي، دار غريب، القاهرة- مصر، 1998، ص 374.

محال كذب يضرب الأمثلة لكل نوع منها، مبينا فيها الصحة والفساد والحسن والقبح مما يبدو معه الكلام متلائماً أو متنافراً<sup>(3)</sup>.

وكذلك نجد ما جاء في قول بشر بن المعتمر "ونقرأ في صحيفة بشر بن المعتمر ما يفيد النظم حين يقول" فإذا وجدت اللفظة لم تقع موقعها، ولم تصر إلى قرارها، وإلى حقها من أماكنها المقسومة لها، والقافية لم تحل في مركزها وفي نصابها، ولم تتصل بشكلها وكانت قلقة في مكانها، نافرة من موضعها فلا نكرها على اغتصاب الأماكن. والنزول في غير أوطانها"<sup>(4)</sup>.

والعتابي - وقد كان حيا في خلافة المأمون يرى " أن الألفاظ للمعاني بمثابة الأجساد للأرواح فينبغي أن توضع موضوعها، وإلا فسدت الصورة وتغير المعنى، وفقدت الحسن والجمال وساء نظمها وشان خلقها، وأقرأ قوله: الألفاظ أجساد، والمعاني أرواح، وإنما نراها بعيون القلوب، فإذا قدمت منها مؤخرها، أو أخرت منها مقدما، أفسدت الصورة وغيرت المعنى، كما لو حول رأي إلى موضع يد، أو يد إلى موضع رجل، لتحولت الحلقة، وتغيرت الحلية"<sup>(1)</sup>.

وكذلك الجاحظ الذي هو الآخر كان له تعبير عن النظم، وذلك في قوله " وأجود الشعر إذا رأيتَه متلاحم الأجزاء، سهل المخارج فتعلم بذلك أنه أفرغ إفراغا واحداً. وسبك سبكا واحدا فهو يجري على اللسان عما يجري الدهان، فالنظم عنده في تلاحم الأجزاء وحسن السبك"<sup>(2)</sup>.

(3): المرجع نفسه: 374.

(4): المرجع نفسه: ص 375.

(1): المرجع السابق: أثر النحاة في الدرس البلاغي، ص 375.

(2): المرجع نفسه: ص 375.

وابن قتيبة كانت له اهتمامات بالعلاقات النحوية " بين ألفاظ العبارة وقد أفرد بابا لتأويل الحروف التي ادعى على القرآن بما الاستحالة وفساد النظم"<sup>(3)</sup>.

وإبراهيم بن المدبر ينصح الكتاب ويوضح لهم ما يجب مراعاته في الكتابة بما هو من صلب النظم، فيقول " فإنما يكون الكاتب كاتباً إذا وضع كل معنى في موضعه وعلق كل لفظة على طبقها من المعنى، فلا يجعل أول ما ينبغي له أن يكتب في آخر كتابه ولا آخره في أوله"<sup>(4)</sup>.

والمبرد كان يرى أن البلاغة تكمن في حسن النظم ولذلك عما جاء في قوله " فحق البلاغة إحاطة القول بالمعنى، واختيار الكلام وحسن النظم حتى تكون الكلمة مقاربة أختها، ومعاوضة شكلها"، ونجد أيضاً أبي بكر الصولي يتحدث عن " نقد الشعر وترتيب الكلام ووضع مواضعه وحسن الأخذ لا نراه إلا لمن صحت طباعهم وراضوا بالكلام"<sup>(1)</sup>.

والسيرافي النحوي حوارته مع أبي بشر متى بن يونس حول النحو والمنطق، ومكانة البلاغة بينهما يبين أن المراد بعلم النحو ليس حركات الإعراب فقط وإنما هو في وضع الكلمات وترتيبها وأن المراد بالمعاني هو معاني النحو من حيث التقديم والتأخير توحي الصواب، فعندما يقول متى بن يونس للسيرافي، يكفيني من نعتكم هذا الاسم والفعل والحرف فإني ابتلغ بهذا المقدار إلى أغراض قد هذيتها بي يونان... ينبرى السيرافي مصححاً وضع النحو وقيمته في النظم قائلاً: " أخطأت لأنك في هذا الاسم والفعل والحرف فقير إلى وضعها وبنائها على الترتيب الواقع في غرائز أهلها وكذلك أنت محتاج

<sup>(3)</sup>: المرجع نفسه: ص 376.

<sup>(4)</sup>: المرجع نفسه: ص 376.

<sup>(1)</sup>: المرجع السابق: أثر النحاة في الدرس البلاغي، ص 376.

بعد هذا إلى حركات هذه الأسماء والأفعال والحروف ويستمر السيراني في جدله حتى يقول: إن المعاني هي معاني النحو بالتقديم والتأخير وتوخي الصواب<sup>(2)</sup>، والرماني حين يتحدث عن التلاؤم، فإنه "يقصد به حسن النظم وجودة السبك حتى يجلو في السمع، ويخفف على اللسان"<sup>(3)</sup>، أما الخطابي يبين أن النظم ليس سهلاً ميسوراً، وإنما يحتاج إلى ثقافة ومهارة، فيقول "وأما رسوم النظم فالحاجة إلى الثقافة والحذق فيها أكثر. لأنها لجام الألفاظ، وزمام المعاني، وبه تنتظم أجزاء الكلام، ويلتئم بعضه مع بعض. فتقوم له صورة في النفس يتشكل بها البيان"<sup>(4)</sup>.

أما أبو هلال العسكري في كتابه الصناعتين يعقد الباب الرابع في البيان عن حسن النظم وجودة الوصف والسبك، وذلك في قوله "وحسن الوصف أن توضع الألفاظ في مواضعها، وتمكن في أماكنها ولا يستعمل فيها التقديم والتأخير، والحذف والزيادة إلا حذفاً لا يعتمد الكلام، ولا يعني المعنى، وتضم كل لفظة إلى شكلها، تضاف إلى لغتها وسوء الرصف تقديم ما ينبغي تأخيره منها وصرافها عن وجودها وتغيير صيغتها، ومخالفة الاستعمال في نظمها"<sup>(1)</sup>، ويرد الباقلاني على الرماني قوله في أن بلاغة القرآن تقع بوجه من الوجوه العشرة التي ذكرها للأقسام البلاغة، فالتشبه عنده ليس معجزاً ولا التجنيس ولا المطابقة، وإنما الإعجاز للألفاظ والنظم والتأليف"<sup>(2)</sup>.

(2): المرجع نفسه: ص 376.

(3): المرجع نفسه: ص 377.

(4): المرجع نفسه: ص 377.

(1): أبو هلال العسكري: الصناعتين الكتابة والشعر، تحقيق: محمد البحاوي، دار الفكر العربي، ط2، د- ت، ص 167.

(2): المرجع السابق: أثر النحاة في الدرس البلاغي، ص 377.



وربما كان القاضي عبد الجبار أكثر العلماء وضوحاً في تناوله للنظم قبل الجرجاني حين عقب على أستاذه أبي الهاشم الجبائي في اعتبار الفصاحة في اللفظ، فرأى أن يكمل عمل أستاذه حين أغفل تركيب الكلام الذي عليه عماد البلاغة، فيقول "اعلم أن الفصاحة لا تظهر في أفراد الكلام، وإنما تظهر في الكلام بالضم على طريقة مخصوصة ولا بد مع الضم من أن يكون لكل كلمة، صفة وقد يجوز في هذه الصفة أن تكون بالمواضعة التي تتناول الضم، وقد تكون بالإعراب الذي له مدخل فيه، وقد تكون بالموقع وليس لهذه الأقسام الثلاثة رابع لأنه إما أن يعتبر فيه الكلمة أو حركاتها أو موقعها، ولا بد من هذا الاعتبار في كل كلمة ثم لا بد من اعتبار مثله في الكلمات إذا انضم بعضها إلى بعض، لأنه قد يكون لها عند الانضمام صفة، وكذلك لكيفية إعرابها وحركاتها وموقعها، فعلى هذا الوجه الذي ذكرناه إنما تظهر مزية الفصاحة بهذه الوجوه دون ما عداها"<sup>(3)</sup>.

فعبد الجبار يوضح النظم بالتتام الكلمات بعضها مع بعض ومراعاة الإعراب والحركات، فيجعل النحو ركناً ركيناً في النظم حتى تتحقق له البلاغة"<sup>(4)</sup>.

وابن شهيد يحتتم على الكاتب أن يختار أملك النحو وأفصح الغريب وهو يريد بملاحة النحو: اختيار الوضع النحوي الذي يساعد على أداء المعنى، فقد يكون الكلام مستقيماً من الوجهة النحوية، ولا يكون مستقيماً من الوجهة البيانية، فإذا البلاغة في الواقع تبنى على سلامة التركيب، والتركيب السليم

(3): المرجع نفسه: 377-378.

(4): المرجع نفسه: ص 378.

لا يراد به التركيب الخالي من الغلط حتى يراد وزنه بالموازنين النحوية، وإنما هو التركيب الذي يستوفي الدقائق المعنوية التي يهتم بتقيدها، علماء المعنى<sup>(1)</sup>.

ومنه نقرأ أن "النظم" لم يكن مجهولاً قبل عبد القاهر الجرجاني، وإنما كان موجوداً وتطرق إليه بعض النحاة أمثال: سيبويه بشير بن المعتمر، العتابي، الجاحظ، ابن قتيبة، إبراهيم، بن المدبر المبرد، أبي بكر الصولي، السيرافي النحوي، الرماني، الخطابي، أبو هلال العسكري، الباقلاني، القاضي عبد الجبار، ابن شهيد... وغيرهم، فكل منهم قد تطرق إلى النظم، ولكن كل واحد منهم عبر عنها بطريقته الخاصة، وهذا ما صرح به عبد القاهر الجرجاني في كتابه "دلائل الإعجاز" / المتمثل في قوله: "وقد علمت إطباق العلماء على تعظيم شأن النظم، وتفخيم قدره، والتنويه بذكره، وإجماعهم أن لا فضل مع عدمه"<sup>(2)</sup>.

فمفهوم النظم كان في أوله عبارة عن آراء بسيطة أدلى بها بعض النحاة ثم أخذت تتسع شيئاً فشيئاً، فطورها عبد القاهر الجرجاني حيث ارتبطت نظرية النظم بقضية الإعجاز، فلا يحاول بذلك تطوير النحو العربي من خلال الوقوف على أهم القضايا الذي تناولها السابقين كاللفظ والمعنى، والكلام والبلاغة... إلخ.

وقد ذكر عبد القاهر الجرجاني كلمة النظم في كثير من المواضع ومنها قوله: "واعلم أنك إذا رجعت إلى نفسك علمت علماً، لا يعترضه الشك أن لا نَظْمَ في الكَلِمِ ولا ترتيب، حتى يُعَلِّقَ

(1): المرجع السابق: أثر النحاة في الدرس البلاغي، ص 378.

(2): عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تحقيق: عبد الحميد الهندواي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت- لبنان، 2001، ص 93.

بعضها ببعض، ويُبنى بعضها على البعض، وتُجعل هذه بسببٍ من تلك. هذا مالا يجهله عاقل ولا يخفى على أحد من الناس"<sup>(1)</sup>.

وهنا يشير إبراهيم مصطفى في كتابه "إحياء النحو" إلى أن الشيخ عبد القاهر الجرجاني "رسم في كتابه دلائل الإعجاز طريقاً جديداً للبحث النحوي، تجاوز أواخر الكلم، وعلامات الإعراب، وبين أن الكلام نظماً وأن رعاية هذا النظم وإتباع قوانينه هي السبيل إلى الإبانة والإفهام، وأنه إذا عدل بالكلام عن سنن هذا النظم لم يكن مفهماً معناه، ولا دالاً على ما يراد منه، وضرب المثل لذلك بالمطلع المشهور، وهو:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

لوخولف فيه النظم وعُدل به عن سننه وقواعده، فقيل :

ن بك قفا حبيب من ومنزل وذكرى

لكان لغواً من الكلام وعَبَثاً: ثم بين أن هذا النظم يشمل ما في الكلام من تقديم وتأخير، وتعريف وتنكير، وفصل ووصل، وعدول عن اسم وفعل، أو عن صيغة إلى أخرى، وغير هذا من سائر أحوال الكلمة إذا أُلفت مع غيرها لتفهم"<sup>(2)</sup>، وكذلك نجد أن صالح بلعيد قد اعتبر نظرية النظم عند الجرجاني كما جاء في قوله: "التأليف والتنظيم والترتيب والجودة ومن ذلك صنف النظم في علوم

(1): عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تحقيق محمود محمد شاكر، ص 55.

(2): إبراهيم مصطفى: إحياء النحو، مؤسسة هندواي للتعليم والثقافة، القاهرة- مصر، 2012، ص 25.

البلاغة باعتباره يسعى إلى رصف الكلمات وترتيبها وجودتها، وفي حسن التغيير ومعرفة الموقع المناسب<sup>(3)</sup>.

وما يمكننا أن نشير إليه أن عبد القاهر الجرجاني تناول في كتابه دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة كل ما من شأنه أن يضيف لبلاغة الكلام وقد وضع شروطاً لذلك، فدرس علم المعاني وعلم الألفاظ وكل ما يخص علم البلاغة العربية، كما أن نظرية النظم عند الجرجاني "نظرية كبيرة عامة، وعنده أن دراسة النظم لا تقف عند أمر الصحة بل تعدوه إلى تعليل الجودة، وبعبارة أخرى يمزج الجرجاني النحو بما سماه البلاغيون فيما بعد علم المعاني وله في ذلك حكمة بالغة"<sup>(1)</sup>.

ويشير الشيخ عبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز: "إن الفصاحة والبلاغة راجعتان إلى المعنى، بهذه العبارة علمت أن الفصاحة والبلاغة وسائر ما يجري في طريقهما أوصاف راجعة إلى المعاني وإلى ما يدل عليه بالألفاظ، دون الألفاظ نفسها، وحكى عن تقدمه: إنك لا تقدم شعراً حتى يكون قد أودع حكمة أو أدبا، أو استعمل على تشبيه غريب ومعنى نادر"<sup>(2)</sup>.

فنجد أن نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني تتمحور في مجملها على فصاحة الكلام وبلاغته وترتبط كذلك بعلم النحو وأحكامه، وهذا ما جاء في قوله: "لا يقصد من النظم إلا تأليف الكلام

(3): صالح بلعيد: نظرية النظم، دار هومة، الجزائر، 2002، ص 134.

(1): محمد مندور: في الميزان الجديد، دار نضضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، د-ط-ت، ص 181.

(2): محمد بن علي بن محمد الجرجاني: الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، تحقيق: عبد القادر حسن، مكتبة الآداب، طبعة جديدة، 1418هـ-

1997م، ص 13.

وفقاً لأبواب النحو المختلفة<sup>(3)</sup>، فنظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني تركز على معاني النحو وأحكامه فكان يهدف من خلال نظريته هذه أن يظهر روعة القرآن وإعجازه، من خلال كتابه "دلائل الإعجاز" فقد خطى خطوات كبيرة في ميدان البلاغة العربية فساهم في ازدهارها من خلال نظريته "النظم"، التي كانت منطلقاً معرفياً حيث أقامها على ثنائيتين لغويتين هما: الألفاظ والمعاني. فالأساس الذي بنيت عليه هذه النظرية هو معاني النحو، كما جاء في قول سناء حميد البياني: "وكنا قد علمنا أن ليس النظم شيئاً غير توخي معاني النحو وأحكامه فيما بين الكلم، وإنا إن يقينا الدهر نجهد أفكارنا حتى نعلم للكلم المفردة سلكا ينظمها وجامعاً يجمع شملها، ويجعل بعضها بسبب من بعض، غير توخي معاني النحو وأحكامه فيها طلبنا ما كل محال دونه"<sup>(1)</sup>.

• أسس نظرية النظم: نجد أن هذه النظرية قد وجدت شرحاً وتمثيلاً في كتاب دلائل الإعجاز

مثلاً في الأسس نوردها على النحو التالي:

1/- نظم المعاني في النفس ثم النطق بالألفاظ حدوها: لقد تحدث الجرجاني عن "المعاني النفسية

مرات كثيرة، وعدها عنصراً أساسياً وجوهرياً في عملية النظم، فالنظم عنده ليس نظاماً للألفاظ أو الحروف، بل نظاماً للمعاني في النفس أولاً، وإذا تم ذلك فليس للألفاظ إلا أن تطبع سيدها- المعاني-

<sup>(3)</sup>: وليد محمد مراد: نظرية النظم وقيمتها العلمية في الدراسات اللغوية عند عبد القاهر الجرجاني، دار الفكر، ط1، دمشق، 1403هـ-1983، ص 102.

<sup>(1)</sup>: سناء حميد البياني: قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم، دار وائل للنشر، ط1، عمان-الأردن، 2003م، ص 13.

وتحذو حذوه خطوة، لا تحيد عن ذلك قيد أمثلة، وعليه فإذا فرغ المتكلم من نظم المعاني فالألفاظ تترتب على حسب ترتب المعاني في النفس، دون أن يستأنف المتكلم فكراً جيداً لترتيب الألفاظ"<sup>(2)</sup>. ونجد ذلك في كتابه دلائل الإعجاز في قوله: "فإذا وجب للمعنى أن يكون أولاً في النفس، وجب اللفظ الدال عليه أن يكون مثله أولاً في النطق، فأما أن تتصور في الألفاظ أن تكون المقصودة قبل المعاني بالنظم والترتيب وأن يكون الفكر في النظم الذي يتوأسفه البلغاء فكراً في نظم الألفاظ أو أن تحتاج بعد ترتيب المعاني إلى فكر تستأنفه لأن تجري بالألفاظ على نسقها"<sup>(3)</sup>، فالملاحظ على عبد القادر الجرجاني أنه اهتم بالمعنى و ما يتركه في النفس من أثر فالنظم يقوم على إدراك المعاني النفسية التي تتم في حسن اختيار الألفاظ وترتيبها.

ويبين لنا محمود أحمد نخلة أهمية هذا الركن عند عبد القاهر الجرجاني فيقول "وقد بنى عبد القاهر على هذه الفكرة الركن الأول من أركان نظريته في النظم وهو ما أسماه "ترتيب المعاني في النفس ثم النطق بالألفاظ على حذوها"، كما عد تمام حسن عملية النظم النفسي بأنها المرحلة الأولى من مراحل إنتاج الكلام، فقال: "يرى عبد القاهر أن المقصود بالنظم إنما هو نظم المعاني النحوية في النفس... ومعنى النظم أن يعمد المتكلم إلى اختيار ما يناسب غرضه من هذه المعاني إذ يوردها على خاطره قبل أن يبني لها الكلمات"<sup>(1)</sup>.

(2): عمر بوقمرة: أسس نظرية النظم في الدرس اللغوي الحديث، مجلة جسور المعرفة، العدد العاشر، جوان 2017، ص 173-174.

(3): عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز في علم المعاني، تحقيق: عبد الحميد هندواي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت- لبنان، 2001، ص 43.

(1): المرجع السابق: عمر بوقمرة: أسس نظرية النظم في الدرس اللغوي الحديث، ص 174.

2/- **التعلق النحوي:** وهو الأساس الثاني الذي يراه أحمد نخلة يقول عن الجرجاني: "ولقد قادته فكرة ترتيب الألفاظ حسب ترتيب المعاني في النفس إلى فكرة أخرى، تعد فيما نرى الركن الثاني من أركان نظريته، وهي فكرة التعلق النحوي، وقد جعل تمام حسن هذه الفكرة- التعلق النحوي- المرحلة الرابعة من مراحل إنتاج الكلام، فقال: وتتمثل هذه المرحلة في أمور مثل المطابقة وحروف الربط التي تؤدي إلى توثيق الأواصر بين عناصر الجملة على صورة تتحدى الفصل والاعتراض والاستثار والحذف إلى آخره، مما يجعل المعنى الكلي للكلام واضحاً، ولا سيما إذا أعانت القرائن السياقية والخارجية على هذا الوضوح"<sup>(2)</sup>.

3/- **أساس تخير الموقع:** "وإذا كان كما سبق وأن قرره عبد القاهر الجرجاني، وهو أن اللفظة لا معنى لها ولا مزية حتى تضم إلى أخواتها في تأليف دقيق، وعلى نحو مخصوص، وأن التعلق هو ركن أساس في هذه النظرية، فإنه يجب أن يراعي موقع الكلمة من بين أخواتها فالتعلق وحده غير كاف حتى ينتفي كل لفظ مكانه الملائم، أو لكل مكان لفظه المناسب بحيث لو حول ذلك اللفظ من مكانه، أو أزيل عن ذهب الرونق وزال الجمال"<sup>(3)</sup>، وهنا يقول الجرجاني "وإذا كان كذلك فينبغي أن ينظر إلى الكلمة قبل دخولها في التأليف، وقبل أن تصير إلى السورة التي يكون بها، الكلم إخباراً وأمراً ونهياً واستخباراً وتعجباً، وتؤدي في الجملة معنى من المعاني التي لا سبيل إليها إلا بضم كلمة إلى كلمة... وهل يقع في وهم أحدهم، وإن جهد أن تتفاضل الكلمتان المفردتان من غير أن ينظر إلى

(2): المرجع نفسه: ص 176.

(3): المرجع نفسه: ص 178.

مكان تقعان فيه من التأليف والنظم، بأكثر من أن تكون هذه مألوفة مستعملة وتلك غريبة وحشية؟... وهل تجد أن أحداً يقول: هذه اللفظة فصيحة إلا وهو يعتبر مكانها من النظم، وحسن ملائمة معناها لمعاني جاراتها، وفضل مؤانستها لأخواتها"<sup>(1)</sup>.

**4/- معاني النحو:** نجد أن صالح بلعيد قد تناول معاني النحو ضمن الأركان العامة لنظرية النظم، وذكره محمود أحمد نخلة فقال: "وهو الركن الرابع والأخير من أركان نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني، وقد عني عبد القاهر الجرجاني بهذا الركن عناية بالغة، لأنه ثمرة النظم ومحصوله، وسمت بناء حميد البياني هذا الركن بـ( الوجوه والفروق)، وجعلته الركن الرابع من أركان هذه النظرية، وهذه التسمية هي أدق من التسمية الأولى كما سيأتي"<sup>(2)</sup>، ويقول الجرجاني في هذا السياق "واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيء منها"<sup>(3)</sup>.

### المبحث الثالث: نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني

نجد أن نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني كان لها أثر كبير في إعجاز القرآن: "ويخلص من كل ذلك أن الذي كان عليه العلماء في القرآن أنه معجز في نفسه، وأنه في نظمه، وتأليفه على وصف لا يهتدي الخلق إلى الإتيان بكلام هو في نظمه وتأليفه على هذا الوصف، والداء العياء أن

(1): عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز في علم المعاني، تحقيق: عبد الحميد هندواي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت- لبنان، 2001م، ص 35-36.

(2): المرجع السابق: عمر بوقمرة، أسس نظرية النظم في الدرس اللغوي الحديث، ص180.

(3): المرجع السابق: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص 33.



ليس علم الفصاحة وتمييز بعض الكلم من بعض بالذي تستطيع أن تفهمه من شئت ومتى شئت حتى تظفر بمن له طبع إذا قد جته وري، وقلب إذا رأيت رأيه رأياً" (1).

محمل ما في الرسالة لعبد القاهر الجرجاني وظاهر أنه كما يقول ناشرها: "كتبها ليثبت حقيقة الإعجاز لا ليبين أسرار"، أما تفصيل القول في أسرار الإعجاز من جهة بلاغة الكلام ونظمه فقد تعرض له في كتابه الكبير المسمى "دلائل الإعجاز"، وهذه كلمة عنه "دلائل الإعجاز وكتبه عبد القاهر على ما يظهر من اسمه، ليستعرض فيه أدلة إعجاز القرآن إنما هو بالنظم، وليس بالصرف ولا بشيء من هذا القبيل الذي قال به بعضهم كالأنباء بالغيوب أو أمية الرسول، ولذلك نراه يقول في المدخل إلى الكتاب: " هذا كلام وجيز يطالع به الناظر على أصول النحو جملة، وعلى كل ما يكون به النظم دفعة" (2)، ثم يقول بعد حديث عن جهل الناس بعلم البيان وجهلهم بدقائق الكلام ولطائفه وأثر رأيهم على الشعر وأنه ضرب من التكلف وباب من التعسف، يقول " أنه أدرك أن الجهة التي منها قامت الحجة بالقرآن وظهرت، وبانت وبهرت هي أن كان على حد الفصاحة تقصر عنه قوى البشر، ومنتبها إلى غاية لا يطمح إليها الفكر، وكان محالاً أن يعرف كونه كذلك إلا من عرف الشعر الذي هو ديوان العرب وعنوان الأدب، والذي لا يشك أنه كان ميدان القوم إذا تجاوز في الفصاحة والبيان وتنازعوا فيهما قصب الرهان ثم بحثوا عن العلل التي كان بها التباين في الفضل، وزاد بعض الشعر على بعض" (1).

(1): عبد الرؤوف مخلوف: الباقلائي وكتابه إعجاز القرآن (دراسة تحليلية نقدية)، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت- لبنان، 1978، ص 492.

(2): المرجع نفسه: ص 493-494.

(1): المرجع السابق: الباقلائي وكتابه إعجاز القرآن، ص 495-496.

ونجد كذلك أن الجرجاني يرفض الاكتفاء في الإثبات إعجاز القرآن بما قد ثبت من عجز العرب عن مجاراته وأن غيرهم والشأن كذلك يكون أعجز، فيقول " وكيف يرضى بذلك والقرآن قائم، والحجة على علو شأنه لائجة منه وعلى أساس من آرائه تلك، وعقيدته هذه، في إعجاز القرآن وأنه بالنظم وأن ذلك مما يمكن بيانه، على أساس من ذلك يمضي الجرجاني في كتابه " دلائل الإعجاز"، يعقد الأبواب ويقيم الفصول لإثبات ما اعتقد وتوضيح ما انعقد منه عليه القلب في القضية، فيذكر أنه: " منذ خدم العلم لم يزل ينظر فيما قال العلماء في معنى الفصاحة والبلاغة، والبيان والبراعة وفي بيان المغزى من هذه العبارات، وتفسير المراد بها... حتى وجد المعول على أن هاهنا نظما وتركيبا، وتأليفا وترتيبا، وصياغة وتصويراً ونسجاً وتخييراً" (2).

برع عبد القاهر الجرجاني في كتابه " دلائل الإعجاز"، حيث خدم العلم وحاول وضع أسس ودعائم للقواعد اللغة والنحو العربي، " فالكلام عنده كما هو عند الذين سبقوه، ذو مستويات عدة بدءاً من الكلام العادي مروراً بالكلام الأدبي إلى النص القرآني الذي هو كلم معجز، ولا يمكن للإنسان أن يدرك الإعجاز وأن يحدد مواطنه إلا إذا كان عالماً بالشعر وحدوده، متفطناً لفصاحته وبيانه ومدركاً لخصائصه الفنية، وذلك أنه إذا كنا نعلم أن الجهة التي منها قامت الحجة بالقرآن وظهرت، وباتت وبهرت، هي أن كان على حد الفصاحة تقصر عنه قوى البشر، ومنتها إلى غاية لا يطمح إليها بالفكر وكان محالاً أن يعرف كونه كذلك إلا من عرف الشعر الذي هو ديوان العرب وعنوان الأدب، والذي لا يشك أنه كان ميدان القوم إذا تجاروا في الفصاحة والبيان، وتنازعوا فيها

(2): المرجع نفسه: ص 496.

قصب الرهان"<sup>(1)</sup>، فالكلام عند عبد القاهر الجرجاني ذو مستويات وحتى تدرك الإعجاز يجب أن تكون عالما بالشعر وحدوده وعارفا للفصاحة والبلاغة وأوجهها، وكذلك أن تدرك خصائص الشعر. وهنا نشير إلى أن " كلا النصين القرآني والأدبي، ينتمي إلى اللغة. ولكن فصاحة الأول غير فصاحة الثاني، والغاية غير الغاية. على الرغم من بلوغ العرب أوج الفصاحة والبلاغة. هذه المعرفة هي التي جعلتهم ينبهون بفصاحة النص القرآني ولو لم يكونوا. أصحاب بلاغة ما ذهلوا لفصاحته وبلاغته. وهذا يعني أن الفصاحة عند عبد القاهر الجرجاني مراتب وموطن لا بد من إدراكها. ووضع اليد عليها للفرقة بين الكلام العادي والكلام الأدبي من جهة، وبين كلام البشر والكلام المعجز من جهة أخرى"<sup>(2)</sup>.

يبقى الاختلاف بين النص القرآني والنص الأدبي، رغم أن كلاهما ينتمي إلى اللغة، إلا أن الفصاحة نالت مراتب كبرى في النص القرآني، وعجز العرب على إتيان بمثله وقد فصل عبد القاهر الجرجاني ذلك، حيث صنف الكلام إلى مراتب منها العادي ومنها الأدبي ومنها المعجز وهو كلام الله تعالى.

تعرض عبد القاهر الجرجاني في كثير من المواضيع إلى قضية اللفظ والمعنى، وهذا ما يشير إليه إبراهيم صدقة في كتابه النص الأدبي في التراث النقدي والبلاغي، فيقول: " يتمحور تراث عبد القاهر الجرجاني حول فكرة النظم التي استنبطها من خلال نظرتة العميقة للغة والشعر، والنحو والبلاغة، ومن

(1): إبراهيم صدقة: النص الأدبي في التراث النقدي والبلاغي، عالم الكتب الحديث، ط1، 1432هـ- 2011، ص 198.

(2): المرجع نفسه: ص 198.

اطلاعه على تراث الذين سبقوه في العلم والمعرفة. وقد استطاع أن يبلور كل ذلك في منهج لغوي شامل يعتر به كل باحث في تراثنا العربي الأصيل، لأنه استطاع أن يوحد بين وحدات النص، وخاصة بين اللفظ والمعنى وأن يربط بينهما. ربطا متينا. وأصبحت اللغة عنده تعني مجموعة من العلاقات تتفاعل فيما بينها لتشكيل نسيج لغوي هائلا تدعن إليه النفس وتهواه الأفتدة وتسر به العيون<sup>(1)</sup>، وعليه فإن نظرية النظم تتبلور عند عبد القاهر الجرجاني من خلال نظرتة الثاقبة لعلوم اللغة والشعر، والنحو والبلاغة، والذين سبقوه في العلم والمعرفة.

وقد أولى عبد القاهر الجرجاني أهمية كبيرة لتناسب دلالات الألفاظ وتلاقي معانيها وذلك " أن الألفاظ إذا كانت أوعية للمعاني فإنها لا محالة تتبع المعاني في مواقعها، وإذا وجب لمعنى أن يكون أولا في النفس وجب للفظ الدال عليه أن يكون مثله أولا في النطق. فأما أن تتصور في الألفاظ أن تكون المقصودة قبل المعاني بالنظم والترتيب، وأن يكون الفكر في النظم الذي يتواضعه البلغاء فكراً في نظم الألفاظ، أو أن تحتاج بعد ترتيب المعاني إلى فكر تستأنفه لأن تجيء بالألفاظ على نسقها، فباطل من الظن ووهم يتخيل إلى من لا يوفى النظر حقه، معتمداً في تصوره لتشكيل النص والتحام بناه، على دعامتين أساسيتين هما: " جنس المزية " و " أمر المزية "، وهما أساس النظم عنده، ويعرف الدعامة الأولى بقوله " إنها من حيز المعاني دون الألفاظ، وأنها ليست لك حيث تسمع بأذنك، بل حيث تنظر بقلبك وتستعين بفكرك وتعمل رويتك وتراجع عقلك وتستنجد في الجملة فهمك<sup>(2)</sup>."

(1): المرجع السابق: النص الأدبي في التراث النقدي والبلاغي، ص 325.

(2): المرجع نفسه: ص 328.

لقد ركز الجرجاني في نظريته على تناسب الألفاظ وترتيب المعاني وقد أشد بهما في كثير من المواضع في كتابه "دلائل الإعجاز"، وفي هذا السياق يشير وليد محمد مراد في كتابه نظرية النظم وقيمتها العلمية في الدراسات اللغوية عند عبد القاهر الجرجاني، فيقول "لم تكن نظرية النظم التي وضعها عبد القاهر الجرجاني وليدة اللحظة والصدفة بل كانت نتيجة جهود فكرية متواصلة شارك فيها الباحثون في مجال الفكر والمعرفة منذ عصر الجاحظ أو قبل ذلك بكثير"<sup>(1)</sup>، فنظرية النظم التي أبرز معالمها عبد القاهر الجرجاني إلى حيز الوجود في صورة النظم، التي يرى فيها "الإعجاز القرآني مع حقيقة العلاقة الرابطة بين اللفظ والمعنى واللغة والفكر، بأنها علاقة عضوية قائمة، يمكن إدراكها بالفكر والذوق"<sup>(2)</sup>، ولهذا تعتبر نظرية النظم هي صورة الإعجاز القرآني، لأن عبد القاهر الجرجاني وزان بين العلاقات كاللفظ والمعنى واللغة والفكر، وجعلها جماليات الفكر والذوق.

جعل عبد القاهر الجرجاني نظريته - نظرية النظم - بمثابة صلة وصل يربط فيها كل من الإعجاز والنظم" ربط عبد القاهر الجرجاني بذلك بين نظريته وبين الإعجاز واللفظ والمعنى والتصوير، ليخدم القرآن ويبرز الإعجاز فيه"<sup>(3)</sup>، أما فيما يخص رأيه حول قضية الإعجاز "رد عبد القاهر الجرجاني إعجاز القرآن إلى خصائص في أسلوبه وراء جمال اللفظ وحسن المعنى، أي إلى خصائص في نظمه،

(1): وليد محمد مراد: نظرية النظم وقيمتها العلمية في الدراسات اللغوية عند عبد القاهر الجرجاني، ط1، دار الفكر، دمشق، 1403هـ-1983م،

ص 5.

(2): المرجع نفسه: ص 6.

(3): المرجع نفسه: ص 6.

خصائص تُطرد في جميع آياته، اهتدى إليها بنظرة عبد الجبار وغيره من السابقين له في معرفة دلائل الإعجاز"<sup>(4)</sup>.

أما بالنسبة إلى علم البلاغة فإن عبد القاهر الجرجاني يرى أنه "علم واحد تتفرع مباحثه، وسماتها في الدلائل علم المعاني أو باسم النظم، وهو اصطلاح كان شائعاً في بيئة الأشاعرة، إذ كانوا يعللون إعجاز بالنسبة لنظمه على نحو ما مر معنا عند الجاحظ والباقلاني. وأن المعتزلة عللوا الإعجاز بالفصاحة بدلا من النظم والتي يتفاضل بها البلغاء، وأنكروا أن يكون الإعجاز مرده إلى نظم مخصوص، وردده إلى الفصاحة"<sup>(5)</sup>، وعليه فإن النظم هو مصطلح شائع في بيئة الأشاعرة وقد ارتبط الأخير بالإعجاز والفصاحة والبلاغة.

يؤكد عبد القاهر الجرجاني في أكثر من موضع على أهمية النظم وتوخي معاني النحو وأحكامه بين الكلم بأنه كان من أعجب العجب أن يزعم زاعم أنه يطلب المزية بنظم الكلام، ثم لا يطلب المزية في معاني النحو وأحكامه وتوخيها فيما بين الكلم، فإن اقتصر البعض على المزية المحصورة بنظم الكلم وبأن النظم هو نظم الألفاظ دون المعاني، دون المزية الأخرى في توخي معاني النحو فإنهم لن يصلوا إلى حقيقة الإعجاز"<sup>(1)</sup>، ويؤكد هنا عبد القاهر الجرجاني على أنه إذا اعتبرت طريقة النظم يجب اعتبار المزية هي الأخرى في الفصاحة وأنه لا يعقل أن يكون اختصاص القرآن في النظم دون الفصاحة.

(4): المرجع نفسه: ص 109.

(5): المرجع نفسه: ص 110.

(1): المرجع السابق: نظرية النظم وقيمتها العلمية في الدراسات اللغوية، ص 113.

ويبين لنا عبد القاهر الجرجاني " أن سر الإعجاز كامن في نظمه وسحر بيانه، يعلل له بتوخي معاني النحو وترتيب المعاني في النفس، ليأتي الأسلوب في غاية من القوة والظهور"<sup>(2)</sup>، ويبقى سر الإعجاز يكمن في نظمه وبيانه.

وهناك عدة ظواهر ساهمت في إبراز القيمة العلمية لنظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني، ونذكر منها: " ظاهرة الإيقاع الموسيقي الناشئة من تخير الألفاظ ونظمها في نسق خاص، و هي أوضح ما تكون في الأسلوب القرآني وعميقة كل العمق في بنائه الفني، ثم ظاهرة التناسق الفني في التعبير مع المعاني النحوية والبلاغية، والفصاحة مع التناسق النفسي في ترتيب المعاني في النفس الإنسانية، والذي تنبه إليه الكثيرون، ثم تكلم عن التناسق في الانتقال من غرض إلى غرض من أجل الوصول إلى أعلى درجات التناسق الفني المتوفر في آيات القرآن الكريم"<sup>(3)</sup>، وتبقى قضية اللفظ والمعنى من أهم القضايا التي تناولها الجرجاني والتي كانت ركيزة النظم، وكذلك الإيقاع الموسيقي الناتج عن انسجام الألفاظ ونظمها وكذلك التناسق الغني والفصاحة.

ربط عبد القاهر الجرجاني "بين نظرية النظم وبين إعجاز القرآن، واللفظ والمعنى مع التصوير الفني، ومع الفصاحة والبلاغة ربطا متينا، لإبراز العلاقة القائمة بين اللغة والفكر وهدفه من ذلك هو خدمة القرآن الكريم وإظهار إعجازه، من أجل هذا الهدف انطلق إلى الغرض اللغوي والنقدي في تحليل النصوص مع المقارنة والموازنة. وهي نفس الأهداف التي سعى إليها المتكلمون في إعجاز القرآن

(2): المرجع نفسه: ص 115.

(3): المرجع نفسه: ص 139.

الكريم"<sup>(1)</sup>، فنجد أن عبد القاهر الجرجاني قد قام بتفسير فكرة الإعجاز على أساس نظرية النظم، وربط كل من النظم بالإعجاز، حيث رأى أن القرآن الكريم معجز في نظمه.

أما بالنسبة للنقد عند عبد القاهر الجرجاني، فقد ارتبط عنده بالإعجاز في القرآن، وهذا ما يوضحه دكتور حميد قبائلي فيقول "ارتبط النقد عند عبد القاهر الجرجاني بفكرة الإعجاز في القرآن الكريم، فقد انطلق من كون القرآن معجزاً، ثم رفض أن يكون مواطن الإعجاز الألفاظ أو الفواصل أو الاستعارة، ورأى أن الإعجاز في النظم والتأليف، إذ يقول أعجزتهم مزايا ظهرت لهم في نظمه وخصائص صادفوها في سياق لفظه وبدائع راعتهم من مبادئ آية ومقاطعها ومجاري ألفاظها، ومواقعها وفي مضرب كل مثل، ومساق كل خبر وصورة كل عظة وتنبية وإعلام وتذكير، وترغيب وترهيب، ومع كل حجة وبرهان وصفة وتبيان وبهرم أنهم تأملوه سورة سورة وعشرا عشرا، وآية آية، فلم يجدوا في الجميع كلمة ينبو بها مكانها، ولفظة يُنكر شأنها أو يرى أن غيرها أصلح هناك أو أشبه أو أخرى، وأخلق بل وجدوا اتساقا بمر العقول وأعجز الجمهور، ونظاما والتثاماً واتقاناً وإحكاماً"<sup>(2)</sup>، وعليه تعتبر فكرة أن القرآن معجز في النظم والتأليف الانطلاقة الأولى لعبد القاهر الجرجاني في تأسيس نظريته.

ويظهر لنا جلجا اهتمام عبد القاهر الجرجاني بالمعنى، وهذا من خلال تقسيمه للمعاني إلى قسمين، وهذا ما أشار إليه جمال محمد صالح حسن في كتابه الجهود النقدية والبلاغية عند العرب،

(1): المرجع السابق: نظرية النظم وقيمتها العلمية في الدراسات اللغوية، ص 199.

(2): حميد قبائلي: نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني "دراسة في الأسس والمنطلقات"، مجلة الأثر، جامعة عباس لغرور خنشلة (الجزائر) العدد 29، ديسمبر 2017، ص 14.



فيقول " وقد قسم عبد القاهر الجرجاني المعاني إلى قسمين، الأول عقلي: تتفق العقلاء على الأخذ به، والحكم بموجبه، والثاني تخيلي لا يمكن أن يقال إنه صدق إنما أتيتته ثابت، وما نفاه منفي"<sup>(1)</sup>.

كما قسم عبد القاهر الجرجاني التصرف في المعاني إلى تحقيق وتخييل وقد فصل في كل واحد منهما: " وينقسم التصرف في المعاني على ما يقول عبد القاهر الجرجاني إلى تحقيق وتخييل، والفارق بينهما، أن المعنى الحقيقي ما يشهد له العقل بالاستقامة وتتضافر العقلاء من كل أمة على تقريره العمل بموجبه كقول المتنبي " لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم " فمعنى هذا البيت مما تلقاه العقلاء بالقبول ووضعه بمقدمة ما يتنافسون فيه من الحكم البالغة، وكذلك اتخذ الأمراء الراشدون قاعدة يشدون بها ظهر سياستهم و يستفيدون منها في حماية شعوبهم ومن الذي يجهل أن حياة الأمم تنتظم بالوقوف في وجه من يتهافت به السفه على هدم شرفها والاستهتار بحقوقها، والتخيلي هو الذي يرده العقل ويقضي بعدم انطباقه على الواقع"<sup>(2)</sup>.

رغم مرور السنين إلا أن ما جاء به عبد القاهر الجرجاني ونظريته " النظم " ما زال يتم تداولها، وهذا ما نجده عند محمد عابد الجابري صاحب مشروع نقد العقل العربي " فمحمد عابد الجابري يربط تراث عبد القاهر الجرجاني بالمتلقي الذي يساهم في إنتاج المعنى. لأن البيان لا يتكون بالفكر وحده أو باللفظ وحده، إنما يتكون من نظام خاص يقوم به العقل: " إن "أسرار البلاغة " و " دلائل الإعجاز " في الكلام العربي المبين كامنة في كون الأساليب البلاغية العربية تجعل المخاطب أو المتلقي،

(1): جمال محمد صالح حسن: الجهود النقدية والبلاغية عند العرب حتى القرن السابع هجري، عالم الكتب الحديثة، ط1، 1431هـ-2010م، ص 87.

(2): محمد الخضر الحسين الجزائري: مباحث في اللغة والبلاغة والنقد، دار الأمة، ط1، الجزائر، 2014، ص 241.

يساهم في إنتاج المعنى المقصود بواسطة عملية استدلالية ينتقل فيها من خلال اللفظ، ومعناه المتعارف عليه، إلى المعنى الذي يقصده المتكلم<sup>(1)</sup>.

يعتبر التمييز بين اللغة والكلام من أهم الأسس التي قامت عليها نظرية النظم، وهذا ما يشير إليه حمادي صمود فهو يرى " أن الذي يتأمل نظرية عبد القاهر الجرجاني في نظم، والأسس التي قامت عليها، المتمثلة في التمييز بين اللغة والكلام، يرى أنها تضاهي علم اللسان الحديث وما توصل إليه من آراء ونظريات في دراسة النص الأدبي وطريقة نظمه وتفكيك تراكيبه"<sup>(2)</sup>.

وفي هذه النظرية يبين لنا عبد القاهر الجرجاني أنها "نظرية بها أسرار جمال النظم وتعود إلى تنسيق الكلام على وجه خاص تابع للمعنى النفسي، ولم يرد بها ترجيح جانب المعنى على جانب اللفظ ولم يدع بها الأدباء إلى الانصراف عن جمال الصياغة، لأن هذه الصياغة هي التي ترفع أسلوباً على أسلوب. وتجعل بعض القول في القمة وبعضه في الحضيض"<sup>(3)</sup>، ولهذا ركز عبد القاهر الجرجاني في نظرية النظم على تنسيق الكلام، لأن له دور مهم في المعنى النسقي فيه.

(1): المرجع السابق: مباحث في اللغة والبلاغة والنقد، ص 336.

(2): المرجع نفسه: ص 338.

(3): سحر سليمان الخليل: قضايا النقد العربي القديم والحديث، دار البداية ناشرون وموزعون، ط1، عمان - الأردن، 1431هـ-2010م، ص

# خاتمة

### خاتمة:

ونخلص في الأخير أن الأصول الفكرية لنظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني تمحورت حول:

- 1- تأثره بالمدرسة الأشعرية الفكرية، حيث اعتمد المبدأ الأشعري في الكثير من الدراسات اللغوية والتي من بينها الانتقال من الدال إلى المدلول.
- 2- نجد أيضا سبب تبلور فكر ونشوء نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني، هو الممارسة القبلية للقضية الإعجاز القرآني لدى الكثير من النحويين والبلاغيين ممن سبقوه وكانوا قبله.
- 3- فحاول الكثير إرجاع نظرية النظم إلى كتاب أرسطو " فن الشعر" والبعض الآخر ربطها بالهنود، وهكذا تعددت الآراء وتباينت حول الأصل الفكري لنظرية النظم، ولكن ما هو مؤكد أن النظم عرف قبل عبد القاهر الجرجاني بزمن طويل.
- 4- فمفهوم النظم نطقت به أقلام النحاة أمثال سيبويه وبشر بن المعتمر، العتابي والخطابي، والجاحظ، المبرد، أبو هلال العسكري، الرماني، الباقلاني، القاضي عبد الجبار فلكل واحد منهم كان له رأيه الخاص في النظم فوظفها بأسلوبه وطريقته التي تناسبه، ومن هنا انتفع عبد القاهر الجرجاني من جهود السابقين في خلق نظرية النظم وتحديد معالمها وأسسها وإظهارها على الساحة اللغوية.
- 5- و كان الدافع الكبير في نشوء نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني هو إطلاعه على أهم الأعمال والكتب التي تناولت قضية الإعجاز القرآني، حيث أخذ منهم ما رآه متفق مع نظريته وأضاف الكثير وكان هدفه الأسمى هو دفاع عن الكتاب العزيز ألا وهو القرآن الكريم واللغة العربية بعد ما شهدت الصراعات وحروب عدة للحملة اليونانية ( لفلسفة اليونان ومنطقهم).
- 6- أثر امتزاج الثقافات على الثقافة النحوية، والتشكيك في القرآن وإعجازه، ومن هنا ألف عبد القاهر الجرجاني كتابه الشهير " دلائل الإعجاز"، الذي يعتبر من أمهات الكتب

والذي وضع من خلاله أن الإعجاز لا يكن في اللفظ وحده ولا في المعنى وحده، وإنما يكمن الإعجاز في النظم.

7- فالجرجاني استطاع أن يستفيد ممن سبقوه في فكرة النظم فطورها وتميز بها.

# قائمة المصادر والمراجع

1- المصادر:

1. عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تحقيق: عبد الحميد الهندواي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت- لبنان، 2001م.

2- المراجع:

2. عبد القادر حسين: أثر النحاة في الدرس البلاغي، دار الغريب، القاهرة- مصر، 1998م.

3. حسن منديل حسن العكيلي: دراسات نحوية، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 2012م.

4. هنري كوريان: تاريخ الفلسفة الإسلامية، ترجمة نصير مروى، حسن قيديسي، عويدات للنشر والطباعة، بيروت- لبنان، ط2، 1998.

5. جلال محمد موسى: نشأة الأشعرية وتطورها، دار الكتاب اللبناني، بيروت- لبنان، 1928م.

6. حمودة غرداية، أبو الحسن الأشعري، مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة، 1393هـ - 1973م.

7. الشيخ محمد علي الجوزو، مفهوم العقل والقلب في القرآن، دار العلم للملايين، ط1، بيروت- لبنان، 1980م.

8. سيد قطب: النقد الأدبي أصوله ومناهجه، دار الشروق، القاهرة- مصر، ط8، 2003.

9. جابر عصفور: الصورة الفنية في التراث - النقدي والبلاغي عند العرب، المركز الثقافي العربي، بيروت- لبنان، ط3، 1992م.

10. جلال الدين عبد الرحمان أبي بكر السيوطي: معترك الأقران في إعجاز القرآن، تحقيق علي محمد اليحياوي، المجلد الأول، دار الفكر العربي، ب- ط، ب- ت.

11. مصطفى الصادق الرافي: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، 1424هـ - 2004م.

12. عبد العزيز عبد المعطي عرفة: قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة العربية، عالم الكتب، ط1، 1405هـ- 1985م.
13. أبي الفتح حمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني: الملل والنحل، تحقيق أمير علي مهنا، علي حسن فاعود، ج1، دار المعرفة، بيروت- لبنان، ط3، 1414هـ- 1993م.
14. عبد الرؤوف مخلوف: الباقلاني وكتابه إعجاز القرآن " دراسة تحليلية نقدية"، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت- لبنان، 1978م.
15. ثلاث رسائل في إعجاز القرآن الكريم " الرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني " في الدراسات القرآنية والنقد الأدبي: ، تحقيق محمد خلف الله أحمد محمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة- ط3، د-ت إبراهيم مصطفى: إحياء النحو، مؤسسة هندواي للتعليم والثقافة، القاهرة- مصر، 2012.
16. صالح بلعيد: نظرية النظم، دار هومة، الجزائر، د-ط، 2002م.
17. جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي: أنباء الرواة على أنباء النحاة، ج2، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، 1406هـ- 1986م.
18. أبو هلال العسكري: الصناعتين الكتابة والشعر، تحقيق: محمد اليحاوي، دار الفكر العربي، ط2، د- ت.
19. محمد مندور: في الميزان الجديد، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، د-ط- ت.
20. محمد بن علي بن محمد الجرجاني: الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، تحقيق: عبد القادر حسن، مكتبة الآداب، طبعة جديدة، 1418هـ- 1997م.
21. وليد محمد مراد: نظرية النظم وقيمتها العلمية في الدراسات اللغوية عند عبد القاهر الجرجاني، دار الفكر، ط1، دمشق، 1403هـ- 1983.
22. سناء حميد البياني: قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم، دار وائل للنشر، ط1، عمان-الأردن، 2003م.



23. عبد الرؤوف مخلوف: الباقلائي وكتابه إعجاز القرآن ( دراسة تحليلية نقدية)، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت - لبنان، 1978م.
24. إبراهيم صدقة: النص الأدبي في التراث النقدي والبلاغي، عالم الكتب الحديث، ط1، 1432هـ - 2011م.
25. وليد محمد مراد: نظرية النظم وقيمتها العلمية في الدراسات اللغوية عند عبد القاهر الجرجاني، ط1، دار الفكر، دمشق، 1403هـ - 1983م.
26. جمال محمد صالح حسن: الجهود النقدية والبلاغية عند العرب حتى القرن السابع هجري، عالم الكتب الحديثة، ط1، 1431هـ - 2010م.
27. محمد الخضر الحسين الجزائري: مباحث في اللغة والبلاغة والنقد، دار الأمة، ط1، الجزائر، 2014م.
28. سحر سليمان الخليل: قضايا النقد العربي القديم والحديث، دار البداية ناشرون وموزعون، ط1، عمان - الأردن، 1431هـ - 2010م.
- 3 - الموسوعات والمعاجم:
29. ابن منظور: لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرون، ج5، دار المعارف، القاهرة.
30. المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، ط4، مصر، 1425هـ - 2004م.
- المعجم الوجيز: تأليف ونشر مجمع اللغة العربية، ط1، مصر، 1400هـ - 1980م.

4- /المجلات والدوريات:

31. حبيب الله علي إبراهيم علي: نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني وتأثيرها في دراسته للصورة البيانية، مجلة دراسات وأبحاث (جامعة الحلقة)، العدد 18، 2015م/1436هـ .
32. محمد عياد شكري: المؤثرات الفلسفية والكلامية في النقد الأدبي والبلاغة العربية، مجلة الأعلام، العدد 11 آ- ب، 1980م.
33. عمر بوقمرة: أسس نظرية النظم في الدرس اللغوي الحديث، مجلة جسور المعرفة، العدد العاشر، جوان 2017 م.
34. حميد قبائلي: نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني " دراسة في الأسس والمنطلقات"، مجلة الأثر، جامعة عباس لغرور خنشلة ( الجزائر) العدد 29، ديسمبر 2017م.
35. رسالة ماجستير " النظرية النحوية عند الجرجاني وتطبيقها في المقررات اللغوية التعليمية لأقسام السنة الثانية ثانوي-آداب- من إعداد أم الخير بن الصديق، جامعة ورقلة، 2007م.
36. رسالة ماجستير في علوم البلاغة: بعنوان " مصادر الإمام عبد القاهر الجرجاني في بلاغته"، الطالبة هند جميل صالح باية، إشراف علي محمد حسن العماري، جامعة أم القرى ، المملكة العربية السعودية، 1407هـ- 1777م.

# الفهرس

فهرس المحتويات :

كلمة شكر

إهداء

أ.....	مقدمة
6.....	مدخل

الفصل الأول: المدرسة الفكرية الأشعرية

13.....	المبحث الأول: نشأة المدرسة الأشعرية
17.....	المبحث الثاني: الآراء العقائدية والفكرية للمدرسة الأشعرية
25.....	المبحث الثالث: قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة العربية

الفصل الثاني: نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني

46.....	المبحث الأول: عبد القاهر الجرجاني سيرته ومؤلفاته
51.....	المبحث الثاني: الأسس الفكرية لنظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني
62.....	المبحث الثالث: نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني وأثرها في الإعجاز
72.....	الخاتمة
79.....	قائمة المصادر والمراجع
84.....	فهرس المحتويات